



المعيزات التحسينية

ALTINOLUK

مجلة فصلية - العدد ٤٧ (أيلول - كانون الأول ٢٠٢٥)



{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ}

المقربون والحياة الروحية



== كلمة التحرير ==

أيها الأخوة القراء:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل له سبيلاً إلى الرشاد، ونهاه عن الغي والفساد. والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للراشدين المهتدين.

إن من نعم الله على عباده أن يرزقهم في حياتهم من يكون لهم عوناً على الطاعة، وقدوة في الاستقامة، ونبراساً في ظلمات الفتن. أولئك هم الذين يشتاق الناس إليهم في حياتهم، ويحتون إليهم بعد وفاتهم، لما فيهم من صفاء القلب، ونقاء السيرة، وصدق المعاملة، وحسن السلوك. لم يكونوا أصحاب جاه ولا مال، لكنهم أصحاب قلوب طاهرة، وعقول راشدة، وأرواح موصولة بالله عز وجل.

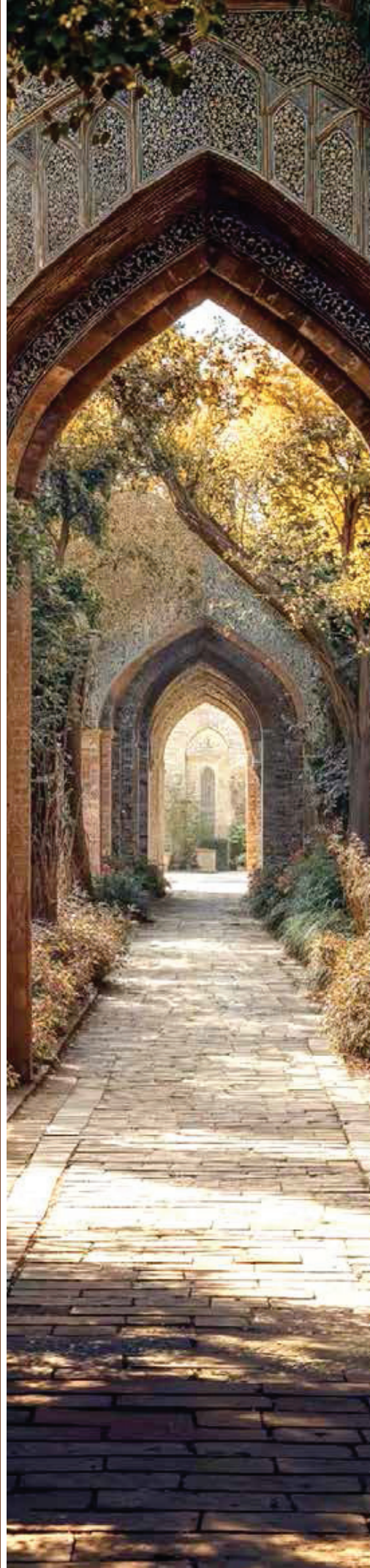
والرشد في حقيقته هو السير على الصراط المستقيم، والتمسك بحبل الله المتين، وهو التزام الحق في القول والعمل، والثبات على طاعة الله، واجتناب معاصيه.

وأما ضد الرشd فهو الغي، وهو التيه عن طريق الله، والانحراف عن طاعته، والسير وراء الشهوات والضلالات

إن الناس لا يشتاقون لمن عاش لنفسه فقط، ولا يحتون لمن كانت حياته لهواً وغفلة، ولكنهم يفتقدون من كان فيهم خيراً، من إذا ذكر ذكر الله، وإذا نُصح الناس كان أولهم، وإذا حضرت الطاعة كان من السابقين.

فكن راشداً، تكن محبوباً عند الله، ومحوباً في قلوب الناس. اجعل حياتك لله، وسيرتك طاعة، وأخلاقك هدياً، تكن ممن يُفتقدون إذا غابوا، ويُدعى لهم إذا ماتوا، ويُرجى لهم ما عند الله من النعيم.

نسأل الله أن يجعلنا من الراشدين، وأن يرزقنا صحبة الصالحين، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد السابع والأربعون
(أيلول - كانون الأول ٢٠٢٥)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قايما

لقمان حلوجي

الترجمة و التصحيح

محمد سيف

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel: +90 212 671 07 00 Faks: +90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات

والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

٢٢



ماذا أعددت لغد؟
الدكتور: عمر شليك

٣



المقربون والحياة الروحية
د. آدم أرغول

٤٨



لا طريقة صوفية بلا تشريعة
البروفيسور د. محمد بولوط

٢٨



أمثلة سامية من الأخلاق العظمى
الأستاذ: عثمان نوري طوباس

٢٤	ترك أثر حسن	١	كلمة التحرير
٢٦	ملجأ السالك إلى الله: الدموع	٣	المقربون والحياة الروحية
٢٧	طريق المعرفة هو طريق السعداء	٦	من يضحي بنفسه يجد الخلود
٣٤	الذكر بالخير	٨	العاقبة الطيبة في النية الطيبة
٣٦	الذين يحيون بآثارهم ويُترحم عليهم	١٠	الطهارة الباطنية شرط
٣٨	حاجاتنا ليست في الشاشات	١٢	على خطأ الراشدين
٤١	نحن أحرار	١٤	ليشتاقوا إليهم في حياتهم
٤٦	اركض ما دمت تستطيع	١٧	الخنساء رضي الله عنها
٤٨	لا طريقة صوفية بلا شريعة	١٨	لماذا لا يتزوج الجيل الجديد؟
٥٢	اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه	٢٠	ثروة الأجيال
٥٤	ضع نظارتك وانظر جيداً	٢٢	ماذا أعددت لغد؟

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



المقربون والحياة الروحية

الدكتور. آدم أرغول

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة، ٨٨-٨٩]

وإذا كان القرب من الله سبحانه وتعالى نتيجة طبيعية للمسابقة في الخير، فلا بد إذاً من وجود دوافع وأسباب ومتطلبات تبرر هذا السباق الدائم. ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

- ١- فهموا غاية الحياة فهماً صحيحاً.
- ٢- حددوا أهدافهم بوضوح، ويسيرون نحوها دون تشتت.
- ٣- تمسكوا بوسائل القرب من الله.
- ٤- يمتلكون حماسة دائمة.
- ٥- تطورت عقولهم وإدراكهم.
- ٦- في قلوبهم نفحات ربانية وجذب إلهي دائم.
- ٧- وباختصار: قلوبهم حيّة.

كلمة "القرب" تُستخدم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة للدلالة على "قرب العبد من الله تعالى" من الناحية الروحية. وعند تصنيف الناس حسب درجات عبوديتهم للحق سبحانه، فإن فئة "المقربين" هي أشرف العباد، إلا أنهم قلة.

وأبرز صفاتهم أنهم يعيشون في حالة روحية كأنهم في سباق دائم لفعل الخيرات والأعمال التي تنال رضا الله سبحانه وتعالى. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الخصلة بعبارة "السابقون"، أي الذين يتقدمون في السباق. فحياتهم ومماتهم على حد سواء، مليئة بالسكينة والسعادة ضمن تجليات ربانية مميزة.

وقد ورد في سورة الواقعة وصف لحظة موت هؤلاء

المقربين في قوله تعالى:

يعتقد أهل المعرفة الربانية أن غاية الحياة هي: "بلوغ الكمال الروحي والسير نحو الجمال الإلهي".

وبعبارة أخرى: النضوج في صفات العبودية بما يتناسب مع خلافة الإنسان في الأرض، والوصول في النهاية إلى رضا الله وجماله الكامل. وهذا الهدف يعني تجاوز الذات، والتغلب على حاجات الجسد وشهواته. أي أن يكون الجسد في خدمة الروح، لا العكس. ولا يمكن للذين أسروا للمادة، أو انغمسوا فقط في ما تراه أعينهم وتلمسه أيديهم ويشبع غرائزهم الجسدية، أن يتصوروا مثل هذا الأفق الروحي.

وهذا الحلم السامي هو ما يدفع الإنسان إلى السعي طوال حياته. فمن يطمح

إلى نعمة عظيمة، لا يمكنه التوقف

أو التراخي أو التباطؤ. فالسعي

وراء نعمة عظيمة يتطلب تحمُّل

مشقة عظيمة. ومع ذلك، فإن

من يسيرون على هذا الدرب

لا يرون ما يقومون به عبثاً،

بل يشعرون بالمتعة واللذة في

طاعتهم.

ومن حدد هدفه بوضوح، فإن

وجهته تكون واضحة. ومن عرف

وجهته، لا يضل. فالأولويات في حياته

واضحة. لا تشغله أمور الدنيا - كالأولاد

والتجارة والمشاكل الأخرى - أكثر مما ينبغي. حتى

وإن كانت أجسادهم مشغولة، فإن قلوبهم متصلة دائماً

بالله وإرادة القرب منه. وهذا الحال - أي اليقظة الروحية

التي تُعد نقيضاً للغفلة - ليس بالأمر الذي يمكن

للجميع بلوغه بسهولة. فما يميزهم أنهم متمسكون

بشدة بوسائل القرب من الله سبحانه وتعالى.

ومن هذه الوسائل الحرص الشديد على أداء

الفرائض، والإكثار من النوافل تقريباً إلى محبة الله. وقد

ورد في الحديث القدسي:

«وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه». [رواه البخاري]

ومن خلال الالتزام بهذين الجانبين - أداء الفرائض، والإكثار من النوافل -، تفتح بصائرهم، ويكشف لهم بوضوح الفرق بين الحق والباطل، والجميل والقبيح، والخير والشر، وما هو أولى وما هو مهم. ومن يقترب

من الحياة والوقائع بعلم ومعرفة وحكمة

كهذه، فإن حياته تكون ممتلئة بروح لا

يمكن التعبير عنها بالكلمات. وكلما

زاد القرب من الله، زادت الحيوية

الروحية عمقاً وشمولاً.

وكل خطوة تُخطى نحو

القرب من الله سبحانه

وتعالى، تزيد من الحماسة،

وتضفي نكهة خاصة على المسير.

وقد ورد في الحديث القدسي:

«من تقرب إليَّ شبرًا، تقربْتُ إليه

ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربْتُ منه

بأعًا، وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة». [البخاري،

التوحيد ٥٠؛ مسلم، الذكر ٢]

يشير هذا الحديث إلى أن كل خطوة يخطوها العبد

نحو الله تولد جذبة إلهية تقربه منه أكثر. وقد ورد في أحد

الأقوال المأثورة: "ما من عبد وصل إلى الله إلا بجذبة".

أما العقل والإدراك، فإنهما يصبحان أكثر حدة

وسموًا - أي يرتقيان إلى مرتبة "اللب" وهي من أرقى

مراتب الإدراك والبصيرة في المفهوم الإسلامي، وهي

تشير إلى صفاء العقل، ونقاء القلب، وعمق الفهم،

وهي أعلى من مجرد العلم أو الفهم السطحي - بقدر ما

رغبة المؤمن

في الحرص على أداء الفرائض

والإكثار من النوافل علامة خير كبير،

ودليل على محبة الله تعالى له واصطفائه له

لطريق القرب منه، وهو من أعظم ما يمكن أن

يسعى إليه المؤمن...

وإنها - والله - من أجل الغايات، وأشرف

المقامات، التي يسعى إليها العارفون،

ويتنافس فيها المتقربون.



القلوب لا تحيا إلا بقدر ما تكون متصلة بالحي الأزلّي الأبدي، أي الله تعالى. فالصلاة، والصوم، والحج، والأضحية، كلها وسائل لإحياء هذه الروح. وكذلك طاعتنا للأوامر والنواهي في جميع مجالات الحياة، ودعاؤنا وذكرنا لله دون انقطاع، هي وسائل تقربنا وتحيينا روحياً. والذين يضيفون على حياتهم معنى سامياً، ويفهمون العبر والحكم من الأحداث، هم فقط أولئك الذين يملكون قلوباً حيّة، وهم من زمرة المقرّين.



وكلما اقترب العبد من الله، زادت ألفتة به أي الأنس بالله، وكلما زادت الألفة، ازدادت اللذة الروحية والحماسة. فالقلوب التي ترى تجليات الله، وتقرأها وتفهمها في كل شيء، لا تعرف الذبول أو البرود الروحي. القلوب التي تلتقي دوماً بنفحات إلهية ونسائم ربانية هي القلوب الحية.

حيوية القلب هي حيوية الشخصية. يقول مولانا جلال الدين الرومي: "إذا لم تبق حياة في جذور الشجرة، فلن تثمر ولو أسقيتها ماء ألف نهر". فالقلوب لا تحيا إلا بقدر ما تكون متصلة بالحي الأزلّي الأبدي، أي الله تعالى. فالصلاة، والصوم، والحج، والأضحية، كلها وسائل لإحياء هذه الروح. وكذلك طاعتنا للأوامر والنواهي في جميع مجالات الحياة، ودعاؤنا وذكرنا لله دون انقطاع، هي وسائل تقربنا وتحيينا روحياً. والذين يضيفون على حياتهم معنى سامياً، ويفهمون العبر والحكم من الأحداث، هم فقط أولئك الذين يملكون قلوباً حيّة، وهم من زمرة المقرّين. وربما لا يكون الوصول إلى هذه المرتبة سهلاً للجميع، ولكن مجرد السير في الطريق إليها لا يُستهان به أبداً. فمن يبحث، فإن الله هو الذي يوصله إلى مراده... ومن بدأ السير، سواء أكان سريعاً أم بطيئاً، فله قيمة بقدر مشيه وسعيه. كل خطوة في طريق القرب إلى الله، خطوة مباركة.

يقوى ارتباط العبد بربه. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن القلوب التي بلغت هذه المرتبة من الإدراك هي التي: تذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران، ١٩٠-١٩١]

ومما يفهم من هذا البيان الإلهي أن إدراك وعقل المقرّين الذين لا ينسون الله أبداً أكثر صفاءً ولمعاناً. وذكر الله سبحانه وتعالى وحده سبب كافٍ لحياة القلب. فقد نبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن من نسي الله سبحانه وتعالى، ولم يذكره، يُعد في عداد الأموات من الناحية المعنوية. حيث قال عليه الصلاة والسلام:

«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه البخاري ومسلم.

وقال الله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩)

من يضحي بنفسه يجد الخلود

ولأن النفس تشعر بذاتها وكأنها إله، فهي ترى كل من يعارض رغباتها عدوًّا. ولهذا فإن الإنسان الخام الذي يعيش في مرتبة "النفس الأمارة" يمكنه أن يضحي حتى بزوجته وأولاده تحت تأثير غضبه! لكن من العجيب أن هذه النفس ذاتها حين تتربى تربية روحية، تتخلّى عن أنانيتها، ولا تكتفي بعدم استخدام الآخرين لمصلحتها، بل تضحي بنفسها ومالها في سبيل الله عند الحاجة.

وهنا، علّمنا الصوفيّة كيف يمكن استخدام هذه القوة العظيمة داخل الإنسان في طريق الله. فالمفسّر الصوفي الكبير ابن عجيبة يرى أن نجاح السائر في طريق السلوك (السالك) يعتمد على مقدار تضحيته. فكلما قدّم تضحيات أكثر، تقدّم وتطوّر روحياً أكثر. وكما يقول مولانا جلال الدين الرومي: "من ضحّى بماله في سبيل الله يُعطى مالا، ومن ضحّى بنفسه، يُعطى حياة وروحاً".

ولا شك أن أعظم قدوات الصوفية في موضوع التضحية هو في المقام الأول نبينا محمد المصطفى ﷺ، ومن بعده أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام. ولهذا لُقّب النبي ﷺ بـ "حبيب الله"، ولُقّب إبراهيم عليه السلام بـ " خليل الله". وحقيقة، فإن عيد الأضحى هو احتفاءً ببطولة النبي إبراهيم عليه السلام في تقديم أحبّ الناس إليه قرباناً في سبيل الله. لقد ضحّى إبراهيم عليه السلام بنفسه ولم يتردد لحظة في تقديم نفسه قرباناً لوقف ظلم نمرود.

التصوف هو طريق الوصال إلى الحق تعالى، ولهذا أولى المتصوفة اهتماماً خاصاً بإزالة العقبات عن طريق الوصول إلى الله. وبرأيهم يوجد عائقان كبيران أمام طريق الوصال: أحدهما حبّ الدنيا، والآخر نفس الإنسان، والمقصود بالنفس هنا هو الأناية أو "الأنا" المتضخّمة لدى الإنسان.

نفوسنا خلقت أنانيةً لأجل سرّ الابتلاء، ولهذا فهي تفكر قبل كل شيء في مصالحها ولذاتها؛ فتضحيّ بهاها، ونفسها، وكل ما تستطيع الوصول إليه لأجل راحتها ومتعتها. والإنسان الغافل لا يمتنع عن التضحية بأي شيء في سبيل شهواته الضارّة كاللهو، والخمر، والميسر، وما إلى ذلك.

وليست التضحية في سبيل الله بالمال والنفس والولد فضيلةً قاصرةً على الرجال فقط. فكما ضحّى إبراهيم، فإن زوجته هاجر عليها السلام كانت أيضًا قدوة عظيمة في التضحية. فحين تركها إبراهيم مع طفلها إسماعيل في صحراء قاحلة موحشة بأمر من الله، لم تعترض مطلقًا، وعندما علمت أن الأمر من الله، قالت بيقين: "إن ربي لا يضيعنا" فقدّمت لنا نموذجًا فريدًا في التسليم والتضحية في سبيل الله.

وقد عبّر إبراهيم عليه السلام عن حالته الصعبة هذه بالدعاء: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم، ٣٧].

يتضح إذاً أن حياة الأنبياء والصالحين وأولياء الله ما هي إلا تاريخ من التضحيات الخارقة في سبيل الله. وفي العصور التي ساد فيها الإسلام، كانت العلاقات بين الزوجين، والأبناء وآبائهم، والجيران، والأغنياء والفقراء مبنية على المحبة، والاحترام، والتضحية. فكانت مشاركة الأفراح والأحزان أساسًا، وكان أسلافنا يضحون حتى من أجل من لا يعرفونهم.

وكان المسلم يقدم وقته وماله وراحته من أجل أخيه المسلم. وبما أن كل شخص كان يسعى لإسعاد الآخر، فقد عاش المجتمع في راحة وسلام. وكانت جرائم القتل داخل الأسرة، والانتحار، مفاهيم غريبة لا وجود لها في حياة المسلمين ولا حتى في قاموسهم. أما في أيامنا هذه، فمن المؤسف أن نرى تراجع روح التضحية والإخلاص. فنحن نغدو أكثر أنانيةً يومًا بعد يوم، نريد كل شيء لأنفسنا فقط، وإذا مسّ راحتنا أدنى

ضرر، نسارع إلى الشكوى. وها هي فلسفة "أنا فقط، وليذهب الآخرون للجحيم" تنتشر بسرعة في مجتمعا. والحمد لله، فإن ربنا العظيم ضمّن في ديننا أعمالاً وعبادات تشفي هذه الأمراض الروحية. ومن أهم هذه العبادات التي تقضي على هذه النفسية المسمومة: عبادة "ذبح الأضحية". فعندما نذبح أضحيتنا، فإننا لا نذبح مجرد حيوان، بل نحظى بفرصة لذبح أنانيتنا وغرورنا. وقد عبّر مولانا الرومي عن هذا المعنى في أبياته الرائعة: "عندما تذبح الحروف وتقول (الله أكبر)، فقل أيضًا (الله أكبر) عندما تذبح نفسك الملعونة. اقطع رأس تلك النفس البغيضة، كي ينجو قلبك من الهلاك. فعندما تُذبح النفس، تتحرّر من الشهوات والجشع، تصبح أضحية طاهرة مذكاة بالبسملة" [المنوي، ٣، ٢١٤٤-٢١٤٦].

وهناك قصة توافق تمامًا هذه الأبيات، وهي قصة الإمام الشبلي مع أحد الحجاج: فقد سأل الإمام الشبلي أحد العائدين من الحج: "هل ذبحت أضحيتك بعد أداء مناسك الحج؟" فقال الرجل: "نعم" فقال الإمام الشبلي: "وهل ذبحت شهواتك معها؟ هل تخلّيت عن إرادتك؟ هل سلّمت إرادتك لله؟" فأجاب الرجل: "لا، لم أشعر بشيء من هذا". فقال له الإمام الشبلي: "إذن، أنت لم تذبح أضحيتك حقًا". ثم سأله عن أمور روحية أخرى تتعلّق بالحج، فلم يكن للرجل أي إحساس بها، فقال الإمام الشبلي له: "لم تؤدّ الحج حقًا، بل اكتفيت بأداء ظاهره فقط..."

لهذا، فإن عبادة الأضحية هي فرصة عظيمة لذبح أنانيتنا وشهواتنا والتقرب من الله. وقد بيّن الله تعالى أن هدف الأضحية هو تقوى القلوب، بقوله: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج، ٣٧].

ندى عالم خير

العاقبة الطيبة في النية الطيبة

علي رضا ثمل

"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً" [مسلم، البر، ٢٨].

إن الله وحده هو الذي يعلم حقيقة الناس، لذلك لا ينبغي الحكم على أحد - لا بالخير ولا بالشر - من غير علم يقيني. والمسلم مطالب كذلك بأن يكون حسن الظن بربه سبحانه. قال الله في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنَّ بي خيراً فله، وإن ظنَّ بي شراً فله". [أحمد، ٣٩١، ١١]

كان النبي ﷺ دائم التفاؤل، وواثقاً أن الله لن يتركه وحده لا في الدنيا ولا في الآخرة. وبهذا الإيمان، والعزم، والأمل، حقق أعظم ثورة في التاريخ. وكان يحث أصحابه على حسن الظن بالله، فقال لهم:

"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله" [مسلم، الجنة، ٨٢].

صاحب القلب السليم هو من يمتلك أعلى الثروات في الدنيا والآخرة. سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الناس، فقال: "كل مضموم القلب صدوق اللسان". قالوا: صدوق

عند تقييم الأحداث والأشخاص، يجب أن تكون حسن النية وحسن الظن هما الأساس. فالأصل في الناس هو براءة الذمة، أي إنهم يُعدّون أبرياء حتى يثبت العكس. فالخير هو الأصل، والشر هو الاستثناء.

وكل مولود يولد على الفطرة الإسلامية، أي إنه يُولد نقيّاً و بريئاً. وفي المجتمعات التي تسودها سوء النية وسوء الظن، لا يمكن أن يسود الأمن والطمأنينة. فإذا بدأ الجميع يشكُّ في بعضهم البعض، تستحيل المشاركة والتعاون والعمل الجماعي، ولا يتحقق حينها لا تطور روحي ولا تقدم مادي.

وسوء الظن مرض قلبي. أما من يُحسن الظن، فإن ما يرد على قلبه من خواطر هو من باب التفكير الإيجابي. حسن الظن هو أن تكون متفائلاً، تدفع عنك الوسواس والظنون السيئة، وتتمنى الخير، وتفسّر الأمور بشكل حسن، ولا تضمر السوء للناس أو الأحداث.

وفي الأصل الظن ليس إلا تخميناً دون دليل أو أساس. وصحيح أنه أحياناً يكون قريباً من الواقع، لكنه في الغالب بعيد عن الحقيقة، ولا يعدو أن يكون حُكماً بلا معرفة. لذلك حذّر رسول الله ﷺ من آفات الظن بقوله:

اللسان نعرفه؛ فما مخموم القلب؟ قال: "التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد" [ابن ماجه، الزهد، ٢٤].

ويتضح مدى أهمية القلب السليم في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ﴾ [الشعراء، ٨٨-٨٩]

وقد قال أحد الحكماء:

"يا حاج، لا تظن أنهم يطلبون منك ذهبًا وفضة، بل يطلبون منك قلبًا سليمًا يوم لا ينفع مال ولا بنون".

من أخطر أمراض القلب - وربما أخطرها جميعًا - هو الحسد. لذلك قال النبي ﷺ:

"لا يجتمع في قلب عبد الإيمان والحسد" [النسائي، الجهاد، ٨].

الحسد هو مشكلة نفسية تُغذي العديد من الأمراض القلبية مثل: السعي الجشع وراء الدنيا والطمع والتكبر والغيرة والحقد والعداوة والكسل والبخل.

وقد ذمَّ القرآن الكريم والسنة كل هذه الصفات على حدة. أما عن خطر الحسد، فقد قال النبي ﷺ:

"إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" [أبو داود، الأدب، ٤٤]

القلب السليم لا يُنال إلا بالتقوى، والتقوى تعني:

الحساسية الشديدة تجاه المعصية والذنوب. القلب

يزداد صفاءً بالعبادات والطاعات، ويتلوث

بالذنوب والمعاصي. نقول: "فلان صاحب

قلب أسود" عندما يكون شريرًا، ونقول:

"فلان طيب القلب" عندما يكون خيرًا.

فإذا لم تكن النية خالصة، والقلب نقيًا،

فلا قيمة للعبادة. فالمهم في العبادة

الإخلاص، لا الكثرة. فمن دون

إخلاص، تصبح العبادة مجرد

تكليف ثقيل بلا روح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال:

"يطلع عليكم الآن رجل من أهل

الجنة"، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لآحيتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير إنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعته يقول إلا خيرًا. فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فاقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق [أحمد، ٣، ١٦٦؛ عبد الرزاق، مصنف، ٢٠٥-٥٩].

فيتضح من هذا المثال أن ما يجعل المسلم من أهل الجنة

ليس الإكثار من العبادة بجانب الفرائض، أو

القيام في جوف الليل، أو صيام النوافل،

بل أن يكون صاحب نية طيبة، لا

يُضمر السوء لأحد، ولا يحمل

حقًا ولا كراهية، ويتعامل

مع الناس بصدق وإخلاص،

ولا يحسد أحدًا على ما أنعم الله

به عليه. فإذا كان القلب طاهرًا،

والنية خالصة، كانت العاقبة خيرًا،

والمنزلة الجنة.

ما يجعل المسلم من

أهل الجنة ليس الإكثار من العبادة

بجانب الفرائض، أو القيام في

جوف الليل، بل أن يكون صاحب نية

طيبة، لا يُضمر السوء لأحد، ولا يحمل

حقًا ولا كراهية، ويتعامل مع الناس بصدق

وإخلاص، ولا يحسد أحدًا على ما أنعم الله

به عليه. فإذا كان القلب طاهرًا، والنية

خالصة، كانت العاقبة خيرًا،

والمنزلة الجنة.

الطهارة الباطنية شرط

إن المجتمعات الحديثة تفتقر إلى صفات العبودية، وهي غافلة عن معاني التسليم والتضحية. فقد بات العالم محروماً من المريدين المتواضعين والصادقين. إن فقدان صفة المريد هو أعظم خسارة تعانيها أمة محمد ﷺ. وإن حرمانا العالم من درويش مخلص أو طالب متواضع، فإن ذلك يؤدي إلى انقطاع في الفيض المتدفق من رسول الله ﷺ. ويؤدي ذلك إلى تلاشي المحبة، والمعنى، والثقة، والطمأنينة. ويعقب ذلك انتشار الظلم، والنفاق، والجور، والفساد.

الحقيقة، فيفسد ويقبح". وقال أيضاً: "الطريق إلى الله هو طريق تنمية الباطن، وهو الطريق الذي سار فيه الأنبياء والأولياء. إنه طريق المجاهدة والتصفية، طريق محاربة الجهل وتطهير الباطن من الشرور".

إن أولياء الله وأهله في بدايات سيرهم الروحي اشتغلوا بأعمال ظاهرها قذارة. فالشيخ عزيز محمود هدائي، والشيخ أبو الوفاء، وحاجي بايرام ولي، وغيرهم، كلٌّ منهم كُلف من شيخه بعمل حقير في الظاهر: هذا عمل في المدايح، وآخر باع الكبد في الأسواق، وثالث نظف المراحيض، وآخر تدرب في محل لبيع الأمعاء. وبقدر ما انشغلوا بالأعمال التي تبدو لنا مقززة كانوا يطهرون بواطنهم، ويهذبون أنفسهم التي تستكف من مثل تلك الأعمال.

قال حبيبنا الأكرم ﷺ في حديث شريف: "الطهور شرط الإيمان".

لقد خلّقنا من أجل الخلود، وهذا يعني أن الهدف من وجودنا هو الترقّي الروحي. فكل فرد ينبغي أن يقضي حياته منذ مولده حتى وفاته في طلب العلم والتربية والتكامل، أي في مسيرة ارتقاء روحي متدرج. إن الترقّي الروحي للإنسان يكمن في النزول إلى أعماق كيانه، وهذا يقوده إلى النقاء، عبر مراحل من التنوّر والإشراق، متنقلاً من حال إلى حال حتى يصل إلى أصله، إلى مسكنه الحقيقي حيث الطمأنينة والرضا المطلق.

وقد قال مولانا جلال الدين الرومي: "إن الجمال الكامن في كل إنسان يعود إلى منبعه الأصلي، وأما الجسد الذي حُرم من ذلك النور فإنه يفقد اعتباره في عالم

والقلب الذي اغتسل بالخجل يندفع بالعشق والحنين
لمتابعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولنكون مؤمنين صادقين وعبادًا محبوبين علينا أن
نتعلم أن ننظر بنظرة طاهرة منزّهة عن الهوى، وبعين
المحبة. ولنكون أصحاب بصيرة حقيقية علينا أن ننظر
لا بعين الشهوة بل بعين الحاجة، لا بعين الطمع بل بعين
المودة. فإن لم نتعلم النظر بعين الرحمة والتواضع غرقنا في
حياة فارغة بلا معنى، وتحولت قلوبنا إلى صحراء قاحلة لا
ينبت فيها شيء. قال مولانا جلال الدين الرومي:

"من الشراهة تنشأ كل الكروب، ومن تعلق الإنسان
ببطنه وشهواته يقع في البلاء. تظن أنك تهرب من
العذاب لكن أفكارك هي مصدر عذابك".

فإن لم يسلك الإنسان طريق الكمال الروحي
الذي يخلصه من أهواء النفس، استولت عليه
الأخلاق الحيوانية. وقال مولانا جلال الدين
الرومي: "أحدهم يأكل فينتج قذارة، والآخر
يأكل مثله لكن طعامه يتحول كله إلى نور إلهي.
من لم ير جمالك جعل عقله قبلته، والأعمى يحمل
بيده علبة فارغة بدل المصباح".

على الإنسان أن يذكر نفسه دائماً بصفاء الأصل
وبراءة الفطرة، وأن يسعى لاستعادة تلك الطهارة
المفقودة، ليعود إلى حالته الأولى. فجوهر العبودية
الكامن في كل إنسان هو السبيل لذلك، وهو التكوين
الروحي الحقيقي. فإن لم تكن عشاقاً لجمال الله، ولم نخشع
أمام عظمتة اللانهاية، فلن نحقق ذواتنا، ولن نبلغ
مقامات النقاء والنور والعشق.

وقال مولانا جلال الدين الرومي أيضاً:

"الدرويش الذي يطلب الخبز كسمكة على اليابسة؛
له شكل السمك لكنه فارٌّ من البحر. إنه يجب ربه لأجل
الثواب، لكن روحه ليست عاشقة لكمال وجمال ربه".

فبقدر ما يخلص الإنسان من صنم الأنا الكامن في قلبه
يقطف ثمار المعرفة، وتزهو بساتين الورود، و يبلغ الغنى
الأبدى، والنعيم، والأمن، والسلام والطمأنينة.

ولكي يبلغ المرء عوالم الجمال والكمال الإلهي لا بد
لنفسه أن تمر بمرحلة التزكية. فالقلب مرآة ينبغي أن
تُصقل من أوساخ الدنيا وظلمات الغفلة. ولا يدخل
المرء ميادين القرب الإلهي حتى يُطهّر قلبه من الرياء
والأهواء الدنيئة والعادات السيئة. وحينئذ يتجلّى الجمال
الإلهي على السطح الصافي النقي فيضيء.

ولا يصل إلى مقامات القرب إلا من طهّر نفسه
تماماً، وخلع من قلبه حب المال والجاه والشهرة والتعلق
بالأهل والولد. فلا يلج بحر الرحمة إلا قلب طاهر،
يشرق بنور الآيات فيذوق المعاني الروحانية الذوافة.
وقد قال الحق سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا
إِلَى اللَّهِ هُمُ الْبَشَرُ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر، ١٧-١٨]

غایتنا أن نطهّر أنفسنا من الشرور والقوى
الشیطانية، ومن الأصنام التي تغزو القلوب
فتستولي عليها.

والشرط الإلهي أن نسلّم كياننا كله خالصاً، وننقي
نفوسنا من كل غرض سوى مرضاة الله. قال مولانا
جلال الدين الرومي:

"القذارة الظاهرة يطهّرها القليل من الماء، أما
القذارة الباطنية فكلما أهملت ازدادت. وإذا عُرفت هذه
الأوساخ لم يطهّرها إلا الدموع".

وقال شمس التبريزي:

"الطهارة الباطنية شرط، وذرة من القذارة في الداخل
أشدّ ضرراً من آلاف الذرات في الخارج. ولا يطهّر تلك
القذارة إلا دموع صادقة، لا كل دمعة، بل التي تنحدر
بصدق من القلب. فإذا حصلت هذه الطهارة الباطنية نجا
الإنسان وبلغ إليه نسيم الطمأنينة".

إن القلب الذي غُسل بنور الله يتطهّر من الدنيا،
والذي رُوي بالحب وغُسل بدموع الندم يبعث حيّاً نقيّاً.

على خطا الراشدين

الأستاذ. سميح يولاتشان

فإن من الناس من يختار طريق الرشد، ومنهم من يميل إلى طريق الغي. وقد عبّر الشاعر الراحل نجيب فاضل قيصاكوراك عن هذا المفهوم قائلاً:

"كل شيء يسيل: الماء، والتاريخ، والنجوم، والإنسان، والفكر. وإنما هناك ميزابان: أحدهما يجري منه النور، والآخر يجري منه القذارة".

وعند هذا التفرق في المسارات، يصبح تحديد ما يجب فعله وما يجب تجنبه أمراً بالغ الأهمية، لأنه هو ما يحدد موقع الإنسان: أهو مع أهل الرشد أم مع أهل الغي؟ فاختيار الإنسان لطرف دون آخر متعلق بهواه وسعيه نحو الاستقامة.

الرشد نعمة يُوفَّق لها العبد، لكنها أيضاً تحتاج إلى إرادة وسعي. ونخبرنا القرآن الكريم أن أبرز سمات من حُرِّموا من الرشد هي الاستكبار في الأرض بغير الحق،

الرشد هو اتباع الطريق القويم في أمور الدنيا والآخرة، وهو التزام الصواب في الفكر والسلوك، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل. أما ضده فهو الغي، أي الانحراف والضلال والابتعاد عن الاستقامة.

وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة، ٢٥٦]

أي إن الحق قد تميز عن الباطل، وتجلّى الطريق الصحيح عن المنحرف. وبناء على هذا، فإن على المسلم أن يسعى ليكون على طريق الرشد، بعيداً عن سُبُل الغي والانحراف.

لكن، وكما قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا

سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف، ١٤٦]

وبهذا الكبر يعمون عن آيات الله في الأنفس والآفاق،
فيُحرَمون من نعمة الرشد.

ومن منطلق القاعدة الشرعية: "دفع المفسدة مقدّم
على جلب المصلحة" ينبغي أولاً معرفة طرق الغواية
والانحراف لتجنبها، ثم نسأل: كيف نكتسب ملكة
الرشد؟ من هم الراشدون الذين علينا أن نكون
بقربهم؟ وهذه الأسئلة لا نجد أجوبتها الصافية
والكاملة إلا في كتاب الله الذي أنزل لهداية البشر إلى
الصراط المستقيم.

ومن بين من منحهم الله نعمة الرشد، نبي الله إبراهيم
عليه السلام. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾
[الأنبياء، ٥١]

لقد منح الله نبيه إبراهيم هذا التمييز منذ صغره، لأنه
كان أهلاً له. فصار داعية إلى الدين الحنيف طوال حياته،
مجسداً الرشد في العقيدة والسلوك، متحققاً بالعلم
والعمل، متوازناً في الظاهر والباطن.

فهو الذي وهب قلبه للمعرفة، ولسانه للبرهان،
وجسده للنيران، وولده للقربان، وماله للضيافة
والإحسان.

هذا هو الرشد الحقيقي صدق في الإيمان، واستقامة
في العمل، وكمال في الخلق.

ومن الآيات التي تصف صفات الراشدين وتلفت
النظر إلى ما يجب مراعاته:

﴿وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ
مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات، ٧].

تفيدنا هذه الآية أن علينا أن نعي دائماً وجود رسول
الله ﷺ بيننا من خلال سنته، وأن نجعل حضوره حياً في
حياتنا اليومية: في بيوتنا، وفي شوارعنا، وفي تعاملنا مع

الناس، وفي العمل، وفي الخلوة والجلوة، وفي السكينة
والضجيج.

والتزامنا بسنته ﷺ هو أعظم تعبير عن هذه الصحبة.
فالرشد لا يعني فقط اتباع الطريق الصحيح، بل أن
نحب هذا الطريق، وندافع عنه، ونحياه واقعاً. أما
محاولة لي أعناق النصوص الشرعية لتوافق الأهواء،
فهي من أعظم أسباب الضلال والضيق، كما تشير الآية.
فالرشد ليس مجرد مسألة عقلية، بل هو أيضاً مسألة
قلبية؛ إذا أحب القلب الإيمان، وأبغض الباطل، فقد
بدأت رحلة الرشد.

نسأل الله تعالى أن نكون من بين عباده الراشدين،
وأن ندرج في دعاء رسول الله ﷺ الذي قال: "اللهم
حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر
والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين" آمين.

أن تكون من الراشدين لا يعني فقط أن
تكون على الطريق المستقيم، بل يعني أن
تُحِبَّ الحق وتُدافع عنه وتعيش به.

فإذاً، فإن الحياة المنضبطة بسنة رسول الله
ﷺ هي أعظم وسيلة لنا لنيل الرشد.

وعلى العكس من ذلك، فإن لي الدين
وتأويله تأويلاً باطلاً بما يوافق أهواءنا
وشهواتنا، إنما هو سبب للوقوع في البلاء
وتسليط المصائب علينا.

وبناءً عليه، فإن الرشد ليس من شأن
العقل فقط، بل هو من شأن القلب أيضاً.





قال رسول الله ﷺ: "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/٣٦١٦؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

ليشتاقوا إليهم في حياتهم، ويحنوا لهم بعد وفاتهم

إن التاريخ لا ينسى الظالمين الذين لم تنتهِ شرورهم بموتهم، كما لا ينسى أولئك الصالحين الذين عاشوا مكرسين أنفسهم لخدمة البشرية، والذين يُحسد على شخصياتهم، ويُشهد لما خلفوه من فضائل بعد وفاتهم. فالظالمون يُذكرون بعد موتهم بالدعاء عليهم، أما الصالحون وأهل الخير فيُذكرون دائماً بالدعاء لهم بالرحمة..

يتعرض له من الناس والجن، حتى أصبح ذلك الأذى كأنه أهون من بعوضة في عينيه. ومنذ ذلك الحين لم يعد يخاف من تهديدات الكفار والمشركين، ولا يطمع في مناصبهم وأموالهم.

إن انشراح الصدر هو بمعرفة حقيقة تفاهة الدنيا، وعظمة الآخرة. قال تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام، ١٢٥]

وبفضل هذا الانشراح، أصبح صدر حبيب الله مفتوحاً لكل الأمور العظيمة، لا يضطرب، ولا يتألم، ولا يندهش، ولا تضيق نفسه في الشدة أو الرخاء، بل كان منشغلاً بأداء المهمة التي كُلف بها بكل طمأنينة. (تفسير المألي)



بعد "شرح الصدر"، يأتي القول الإلهي في السورة: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، والمقصود من ذلك أن يُذكر اسمه إلى جانب اسم الله، فكلما ذكر الله، يُذكر معه رسول الله.

خصَّ الله رب العالمين رسله المصطفين من بين البشر بمنن خاصة، وأيدهم بمعجزات شتى. وكان خاتم الأنبياء وسيدهم، رسول الله ﷺ موضع تأييد إلهي بمعجزات عظيمة، وتلقى خطاباً وتكريماً خاصاً لم يُعط لأحد قبله. وقد أشير في سورة الانشراح إلى نعمتين إلهيتين خُصَّ بهما، وهما: انشراح الصدر، ودوام ذكره ومكانته إلى يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح، ١]

هذا الخطاب الإلهي خاص بسيد الأنبياء، وبين المفسرون فيه معانٍ دقيقة كثيرة.

فالمقصود من "شرح الصدر" هو المعرفة والطاعة. فعندما بُعث رسول الله ﷺ إلى الإنس والجن، كان في البداية يشعر بضيق من هذا العبء، ولكن الله تعالى أراه من آياته ما جعله يتغلب على كل الصعوبات. فأصبحت كل المشقات التي تحملها صغيرة في عينيه، وزال عن قلبه كل همٍّ وغمٍّ. ولم يعد يهتم بالأذى الذي



قال رسول الله ﷺ:

"أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله تعالى أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي".

وهذا هو أعلى مراتب رفعة الذكر. فعند ذكر "لا إله إلا الله"، يُتبع بـ "محمد رسول الله".

وفي الآيات:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء، ٥٩]

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء، ٨٠]

فذكر رسول الله مع الله أعلى درجات الرفعة.

وسبقني الأنبياء يُذكرون بالخير حتى يوم القيامة، كما أن من يسير على طريقهم ويتخلق بأخلاقهم ويحمل أماناتهم بحق، سيحظى أيضًا بهذا الشرف، ويُذكر بالخير بعد موته لما يتركه من آثار طيبة. فالتمني أن يُذكر الإنسان بالخير في المستقبل، هو دعاء من دعوات الأنبياء... قال إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء، ٨٣-٨٥]

وقد استجاب الله دعاءه فقال:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات، ١٠٨]

والحق أن الإنسان بطبيعته يجب أن يُحسن الناس الظنَّ به، وأن يُثبِّتوا على أعماله، وأن يُشهد له بالحسن.

والمؤمن الذي يؤمن بالحياة الأبدية، يعلم أن كل شهادة خير تُقال عنه بعد موته، وكل دعاء يُرفع له، سيكون له سعادة عظيمة في الآخرة.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الشهادة التي يُدلي بها الناس في جنازة المؤمن لها قيمة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى.

عن أنس رضي الله عنه قال: مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: "وجبّت" ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: "وجبّت" فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: "هذا أثنتم عليه خيراً، فوجبّت له الجنة، وهذا أثنتم عليه شراً، فوجبّت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض" [البخاري، الجناز، ٨٦].

أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أني قد أحسنت، وإذا أسأت أني قد أسأت؟ فقال رسول الله ﷺ: "إذا قال جيرائك: قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا قالوا: إنك قد أسأت، فقد أسأت" [ابن ماجه، الزهد، ٢٥].

قال تعالى:

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة، ١٣]

وقد فسر إبراهيم النخعي قوله تعالى: "ما قدم" بأنها الأعمال الصالحة التي قام بها في حياته، و"ما أخر" بأنها العلم الذي علّمه للناس فانتفعوا به بعد موته.

فما دام الناس يعملون بعلم الإنسان بعد موته، يُكتب له مثل أجورهم دون أن يُنقص من أجورهم شيء.

ويُروى أن رجلاً يوم القيامة تُعرض حسناته فتكون خفيفة، فيؤتى بسحابة فتُلقي في ميزانه فتثقل، فيقول: ما هذه؟ لم أفعلها! فيقال له: هذه ثمرة ما علّمته للناس من خير فعملوا به بعدك. [البهرايجي، ج ١٥، ص ٢٢٧]

وكان رسول الله ﷺ - وهو شديد الشفقة على أمته - دائم التذكير بعدم ترك حقوق العباد دون أداء. وفي أولى رسائله عند الهجرة إلى المدينة، شدّد على أهمية أن يُفكر الإنسان في المستقبل. وأن يُذكر الإنسان بالخير بعد موته يعتمد على أمرين: أن لا يُذكر بالسوء، أي أن يحذر من ظلم الناس وترك الحقوق في ذمته، وأن يترك بعده من الخيرات ما يُذكر به بالرحمة والدعاء.

وفي حضارتنا تُجسّد هذه الخيرات من خلال مفهوم "الصدقة الجارية".

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [مسلم، الوصية، ١٤]

وقال عليه الصلاة والسلام:

"أسروا ما شئتم، فوالله ما أسر عبد ولا أمة سريرة إلا ألبسه الله رداءها، خيراً فخيئراً وشرّاً فشرّاً، حتى لو أن أحدكم عمل خيراً من وراء سبعين حجاباً لأظهر

الله ذلك الخير حتى يكون ثناؤه في الناس خيراً، ولو أن أحدكم أسر شرّاً من وراء سبعين حجاباً لأظهر الله ذلك الشر حتى يكون ثناؤه في الناس شرّاً" [أبونعيم، حلية الأولياء، ج ٥، ص ٣٦]

إن التاريخ لا ينسى الظالمين الذين لم تنته شرورهم بموتهم، كما لا ينسى الصالحين الذين عاشوا حياة مليئة بالعطاء والخير، ويُشهد لما خلفوه من أعمال طيبة بعد وفاتهم.

الظالمون يُذكرون بالدعاء عليهم، "لعنة الله عليهم"، أما النبيون فيُذكرون بالصلاة والسلام، والصحابة بـ "رضي الله عنهم"، والعلماء والصالحون وأهل الخير والخدمة بـ "رحمة الله عليه".

قال الإمام علي رضي الله عنه:

"عش حياة كاملة حتى يشتاق إليك الناس في حياتك، ويحنّوا إليك بعد وفاتك..."

وقال الشاعر أديب كوركتشو أوغلو:

أعرف فقط سيّد الرسل،

ملكاً جليلاً على مملكة القلب.

وبالْحَتْمِ الإلهي أعلن الله قدره خالداً،

فأظهره سلطاناً للعالمين.

الخنساء

القادسية التي كانت إحدى كبرى المعارك في تاريخ المسلمين. وفي مساء أحد الأيام، جمعهم ﷺ حولها، ونظرت إليهم بعين الأم الحنون، ثم خاطبتهم قائلة:

"يا بني! لم يُجبركم أحد على الإسلام، بل أسلمتم بإرادتكم، وانضممتم إلى صفوف المجاهدين طوعاً. والله الذي لا إله إلا هو، أنكم جميعاً أبناء رجل واحد وأم واحدة. لقد حفظتُ شرف أبيكم، ولم أخنه. ولم أقم بأي فعل يُخزي أحوالكم، ولم أدنس شرفكم، ولم أغير أنسابكم.

أنتم تعلمون الثواب الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله، واعلموا أن دار الآخرة الباقية خيرٌ من الدنيا الفانية. وتذكروا قول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران، ٢٠٠]

فإذا بلغتم الصباح غداً سالمين إن شاء الله، فأغيروا على العدو ببصيرة، واصبروا وربطوا. ولا تطلبوا العون إلا من الله تعالى في مواجهة العدو. وإذا اشتد القتال، تقدموا نحو أهم نقاط العدو، وقاتلوا قادتهم. فإن نلتم النصر، فستفوزون بالغنيمة، وإن استشهدتم، فستدخلون الجنة وتكرمون بإذن الله".

وبالفعل، خرج أولئك الأربعة الشجعان، وصالوا وجالوا في ساحة المعركة، وقاتلوا قتال الأبطال حتى نالوا الشهادة جميعاً. وعندما بلغ خبر استشهادهم أمهم، قالت بكل ثبات: "الحمد لله الذي شرفني بشهادتهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في دار رحمته".

فالخنساء ﷺ سبقت أولادها الأربعة إلى الآخرة بروحها، نسأل الله أن يجعل مقامها عاليًا في الجنة.

كلمة "الخنساء" هي لقب للسيدة تماضر بنت عمرو، وقد اشتهرت بهذا اللقب حتى غلب على اسمها الحقيقي. ويُقدَّر أنها وُلدت في حدود عام ٥٧٥ ميلادية. والدها هو عمرو بن شريد، وتنتمي إلى قبيلة بني سليم، وهي قبيلة عُرفت بكثرة الشعراء الذين نشؤوا فيها. وكانت الخنساء ﷺ واحدة من أقوى الشاعرات في التاريخ العربي، وتُعد في طليعة النساء الشاعرات في الأدب العربي. يعود أغلب شعرها إلى فترة الجاهلية، وقد عبّرت فيه عن مشاهد البطولة والشجاعة في الحروب من منظور أنثوي،

وامتازت أشعارها بجمعها بين المشاعر الجياشة والبساطة في التعبير. وقد برزت بشكل خاص في شعر الرثاء.

كان لها أخوان، أحدهما من أمها واسمه معاوية، والآخر من أبيها واسمه صخر، وقد قُتلا في حروب بين القبائل. وقد خلّدتها في أشعار رثائية شهيرة تحدثت فيها عن شجاعتها وكرمها، واشتهرت بسببها. وقد بكتها بكاءً

شديداً حتى أثرت الدموع في وجهها، فظهرت عليه آثار الحزن. ذات مرة، قال لها عمر بن الخطاب ﷺ:

"لم تبكين بهذا القدر؟ إنهم في النار". فقالت: "كنت أبكي لفراقهم، أما الآن فزادت حزني حُزناً، وسأبكي أيضاً لأنهم في النار".

نشأت الخنساء ﷺ في أسرة ذات مال ونفوذ قبل الإسلام، ولكنها أسلمت مع أولادها في السنوات الأولى من دعوة الإسلام، وقرأت أشعارها بين يدي النبي ﷺ. ربّت الخنساء أولادها تربية إيمانية، وعندما بلغوا سن الجهاد، أصبحوا شباباً أقوياء وذوي همم عالية تتوق إلى الشهادة في سبيل الله. وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، خرج أبناؤها الأربعة متطوعين للمشاركة في معركة





لماذا لا يتزوج الجيل الجديد؟

ما تكون هذه المشاهد مجرد سيناريو يُراد عيشه لا واقعًا حقيقيًا.

يكنم الخوف من الزواج في الطفولة بالنسبة لكثير من الشباب، الآباء الذين يتشاجرون باستمرار، والأدوار الأسرية الباردة، والمنازل الخالية من الحب. فالأسرة لم تعد ميناءً آمنًا، بل صارت مكانًا ينبغي الهروب منه.

وصرخة الشباب الذين يقولون: "لا يوجد حولي زواج أستطيع أن أتخذه قدوة" هي انعكاس مباشر لهذا انعدام الثقة. وكلما قلت النماذج الجيدة، جرى تعميم النماذج السيئة... في مجتمعنا، الزواج لا يجمع شخصين فقط، بل يجمع أسرتين. وهذا البناء الثقافي قد يكون دعمًا أحيانًا، وقد يكون انتهاكًا للحدود أحيانًا أخرى. صراعات الحماية والكنة، أو غير الإخوة، أو حفلات الزفاف الاستعراضية... كلها تحوّل الزواج من رابط عاطفي إلى "اختبار اجتماعي".

لم يعد الزواج قضية عاطفية فقط، بل أصبح عبئًا اقتصاديًا مباشرًا. من الأجهزة المنزلية، إلى تكاليف الزفاف، ومن الإيجارات إلى الذهب... كلها تجعل متوسط تكلفة الزواج يقترب من مليون ليرة تركية. وهذا ما يقدمه الشباب كإجابة صريحة على سؤال: "لماذا لا نتزوج؟" "لأننا لا نملك القدرة المادية".

الوحدة التي يعيشها الإنسان اليوم هي الحقيقة الأكثر شيوعًا في عصرنا ولكنها في الوقت نفسه الأكثر خفاءً. بعضهم يختارها طواعية، وبعضهم يُدفع إليها دفعًا، لكن الأرضية المشتركة واحدة: انعدام الثقة، والهشاشة، والعجز عن بناء الروابط. فبناء رابط يعني تحمّل مسؤولية، والمسؤولية تعني التضحية. والتضحية اليوم لم تعد ضمن أولويات الكثير من الناس.

مع مرور الزمن تحوّلت العلاقات الإنسانية. أصبح الناس يميلون إلى "الاتصال" أكثر من "الارتباط". فالعلاقات باتت سطحية، والصدقات مؤقتة. أما الزواج، فلم يعد بالنسبة لكثير من الشباب بيتًا، بل صار يُنظر إليه كبنية تهدد المساحة الشخصية للفرد.

أصبحت مفاهيم مثل: الأسرة، والوفاء، والزواج تُرى على أنها قوالب قديمة تتعارض مع "الحرية الفردية"، بينما حلّت محلها الإثارة العابرة، والخيارات اللامتناهية، والإشباع الرقمية. اليوم لم تعد العلاقات قائمة على المشاعر بقدر ما هي قائمة على الصور. فبفضل وسائل التواصل الاجتماعي أصبح الحب قائمًا على العرض أكثر من الإحساس، وعلى جمع "الإعجابات" أكثر من المشاركة الصادقة... صور زفاف مثالية، ورحلات فاخرة، وجوه مبتسمة... كل شيء يبدو كاملاً، لكن غالبًا



الزواج ليس حلمًا، بل أسلوب حياة. ومن لا يستطيع مشاركة فطور بسيط على مائدة، لن يستطيع مشاركة عمر كامل. نعم، الزمن تغير. لكن الحب ما زال ممكنًا. وإذا فهمنا حقًا ما الذي فقدناه، فلا يزال لدينا فرصة لإعادة بنائه.

الاقتصاد لا يشكل جيوبنا فقط، بل يشكل أيضًا رؤيتنا للحياة. وبات قرار الزواج يتخذ غالبًا بالحسابات المادية، لا بالحب.

إن الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء تتغير بسرعة. النساء أصبحن أكثر تعليمًا، وأكثر استقلالية اقتصاديًا، وأكثر حضورًا في الحياة العامة. وأصبح إنجاب الأطفال خارج الزواج أمرًا متزايد القبول. وهذا يعزز الحرية الفردية، لكنه يؤدي أيضًا إلى تفكك في البنية الأسرية التقليدية.

لكن هذا التحول لا يتم بشكل متوازن. فالنساء يبحثن عن المشاركة والمساواة، بينما لا يزال بعض الرجال يديرون علاقاتهم بالآليات التقليدية للسيطرة. هذا التفاوت يجعل من الصعب إيجاد أرضية مشتركة آمنة.

وفوق كل ذلك، الضغوط الاقتصادية تصور الزواج كعبء. فكثير من الرجال يعيشون ضباية مالية لا تسمح لهم بتحتمل "دور المعيل". وهذا يؤدي إلى تأجيل الزواج أو إسقاطه كليًا من الأجندة.

اليوم، يبحث الجميع عن "شريك حياة جيد"، لكن قلة فقط من يسألون أنفسهم: "هل أنا شريك جيد؟" فقد تحول الزواج من علاقة تحتاج إلى جهد وعمل إلى "منتج" يُباع بوعده السعادة. لكن العلاقات طويلة الأمد لا تقوم بالحب وحده، بل بالصبر، والتضحية، والقدرة على البقاء معًا في الأزمات.

وبينما يُمجّد الفرد في مجتمعنا، تتراجع قدرات الناس على بناء الروابط. صار الفرد يرى مساحته الخاصة كأعلى قيمة،

ويرى الزواج الذي يتطلب مشاركة دائمة تهديدًا لتلك الحدود.

وكما أشار زيجمونت باومان فإن الفردية رغم أنها تبدو محررة تتحول غالبًا إلى عملية معزولة. فانفكاك الروابط يجعل الإنسان مستقلًا في الظاهر، لكنه هش في الداخل. والأزواج الذين يعيشون تحت سقف واحد لكن في عوالم منفصلة هم الممثلون المعاصرون لهذه العزلة.

الشباب اليوم لا يهربون من الزواج نفسه، بل من صورة زواج فقد معناه، وأصبح غير مستدام عاطفيًا واقتصاديًا. لذلك فإن الحل ليس في إجبارهم على الزواج، بل في إعادة تعريفه... يجب أن نستعيد الثقة أولاً، الثقة بأن الحب ينمو بالعمل، وأن الكلمة تكتسب قيمتها بالوفاء، وأن العيش المشترك ممكن. ولا يكون ذلك إلا عبر التعليم والتحول الثقافي وتقديم نماذج حية واقعية. المطلوب ليس "تقديس الأسرة"، بل جعلها قابلة للحياة. الزواج ليس اتحاد شخصين كاملين، بل رحلة روحين متعبتين تتشاركان حمل النواقص معًا.

ما المطلوب عمليًا؟

أن ننقل للشباب الأمل لا العيب. أن نُظهر لهم أن بناء حياة أهم من حفل زفاف فاخر. أن نكسر صورة "الحب المُسوَّق في وسائل التواصل"، ونبرز العلاقات الحقيقية المعيشية. أن يُعاد تعريف الرجولة والأنوثة، لا على أساس القوة أو الصبر وحدهما، بل على أساس المسؤولية المشتركة. أن نُقدّم نماذج اقتصادية ونفسية واجتماعية تجعل الزواج ممكنًا، لا مستحيلًا.

وأخيرًا: الزواج ليس حلمًا، بل أسلوب حياة. ومن لا يستطيع مشاركة فطور بسيط على مائدة، لن يستطيع مشاركة عمر كامل... نعم، الزمن تغير. لكن الحب ما زال ممكنًا. وإذا فهمنا حقًا ما الذي فقدناه، فلا يزال لدينا فرصة لإعادة بنائه. فالأسرة ليست مجرد خيار فردي، بل هي نظام أساسي يبقى المجتمع قائمًا. وحمايتها وتقويتها ليست مسؤولية ثقافية فقط، بل أيضًا مسؤولية اجتماعية واقتصادية وسياسية.

ثروة الأجيال

الأستاذ: هاشم آقین

حين نقرأ هذا الحديث عادةً ما نُعجب بالحل العبقري الذي توصل إليه الحَكَم، لكن التركيز على ذلك وحده يُفوّت عنا الرسالة الأعمق. فالحديث يرشد إلى أمرين جوهريين: الأول هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المسلم تجاه المال الحلال والحرام. فالمسلم الحق لا ينشغل بالمكاسب العاجلة ولا يُفتن ببريق الدنيا قبل أن يسأل نفسه: هل هذا المال حلال أم لا؟ لا يعنيه حجم المكسب، ولا ينكسر أمام استغراب الناس أو سخريتهم حين يرفض ما لا مشبوهًا. فقد يبرّر له عقله أو منطقُه أن ما وجده من حقّه، وأنّ القانون يمنحه ذلك، لكن التقوى أوسع من القانون، وهي معيار أسمى من مجرد ما تسمح به الأنظمة. ولو اكتفينا باعتبار كل ما يجيزه القانون حلالاً، لوجب علينا أن نعتبر الرجلين المختلفين في الحديث مخطئين، بينما الشريعة تُثني على ورعهما.

الأمر الثاني: البائع باع أرضه وانتهى الأمر، ولكن المشتري بدافع من تقواه أراد أن يعيد إليه ما وجده. كان بوسعه أن يأخذه، ولم يجبره أحد على إرجاعه. ومع ذلك، رفض كلُّ منهما أن يأخذ المال لنفسه. ولما عُرض الأمر على الحَكَم، أدرك أن أمامه رجلين يقدّمان التقوى على الدنيا، ويزهدان فيما هو من حقّهما قانوناً. لذلك لم يركّز على المال بحد ذاته، بل على الأبناء الذين نشؤوا في بيوت يغمرها الحلال.

الحديث الشريف الذي سنذكره فيما يلي قد سمعناه أو قرأناه مرات عديدة من قبل. وعندما نسمعه غالباً نركّز على الحل الذي يُرضي الطرفين في نهاية القصة. غير أنه عند التأمل العميق وتمريره من ميزان الحكمة، يتجلى لنا جانب أهم بكثير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعثتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا. (البخاري)



لا تقتصر مسؤولية الآباء على تحريّ الحلال في الطعام والشراب فحسب، بل تمتد إلى ما هو أعمق أثراً وأبعد مدى، وهو غرس قيم الحلال في نفوس الأبناء، وتربيتهم على الوعي بالزواج ومسؤوليته، لا الاكتفاء بالحلم به. فاختيار شريك الحياة ليس حدثاً عابراً ولا قراراً وقتياً، بل ثمرة تربية طويلة، وتعبير صادق عن المبادئ التي نشأ عليها



الفرد. كثير من الآباء يظنون أن دورهم ينتهي عند بلوغ أبنائهم سنّ الرشد، أو عند تزويجهم، لكن الحقيقة أن الاختبار الأكبر للتربية لا يبدأ إلا بعد الزواج، حين يصطدم الأبناء بتحديات الحياة الزوجية، ويطلب منهم أن يبنوا بيتاً قائمة على الرحمة، والمودة، والتقوى. وهنا فقط يتضح إن كانوا قد تشربوا تلك القيم، أم أنهم عاشوها ظاهرياً دون جذور راسخة. من هنا، ينبغي أن يغرس الآباء في نفوس أبنائهم منذ الصغر وعياً عملياً بحقيقة الزواج، وضرورة أن يكون الشريك على ذات الطريق من الصدق والاستقامة. فليس المطلوب فقط أن يكون شريك الحياة "صاحب خلق"، بل أن يكون من بيئة نشأت على الحلال، وتشبعت بروح الطهر، لأن الانسجام الحقيقي لا يكون في الطباع فقط، بل في المرجعية التي يرجع إليها كل من الزوجين حين تتعقد الأمور. ومن نشأ على الحلال، رجع إلى الله كلما ضاقت به السبل، واستقام إذا اعوجّ الحال. وهكذا تصنع البيوت المتماسكة، لا بالمال ولا بالمظاهر، بل بتربية واعية تبدأ من الطفولة، وتتجلى آثارها في كل محطة من محطات الحياة.



فسألهم عن أولادهم، فلما عرف أن لأحدهما ولداً وللآخر بنتاً، أشار بزواجهما، ليجتمع بيتان قائمان على الورع، ويثمر هذا الاتحاد جيلاً صالحاً. فالقضية إذن لم تكن في تقسيم الذهب، بل في تأكيد أن الثروة الحقيقية تكمن في ثروة الجيل الصالح.

هذا ما يجب أن نتوقف عنده. فهذان الأبوان اللذان ربّيا أبناءهما في بيئة من الحلال، لم يكن هُمّهما المال بل ما ينشأ عنه من ذرية طيبة. والله تعالى يقول:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور، ٢٦].
فالهاجس الحقيقي ليس كيف نقسم المال، بل كيف نحافظ على صلاح النسل.

وعليه، فإن مسؤولية الآباء لا تنحصر في تحريّ الحلال في الطعام والشراب، بل في إعداد أبنائهم منذ الصغر ليقترنوا بزوجات وأزواج نشؤوا على الحلال مثلهم. والامتحان الأكبر يبدأ حين يتزوج الأبناء، لا قبل ذلك. لذلك ينبغي أن يغرس الآباء في أولادهم هذا الوعي العملي، وألا يختبئوا خلف أعذار من قبيل: "قلوب الشباب لا تُسيطر عليها النصائح، ولم يعد ممكناً التأثير عليهم".

فالأسر التي تُؤسّس على التقوى، بعيداً عن حسابات الشهرة والمكانة والمال، هي التي تثمر أجيالاً صالحة. أما إذا غلب علينا حب الدنيا، فقد نخسر أبنائنا لا من أجل ذهب مدفون تحت أرضٍ ما، بل من أجل مجرد وهم ذلك الذهب.

وهكذا يُفهم من هذا الحديث الشريف أن الخوف على انحراف الأجيال أعمق من الخوف على ضياع المال، وأن الاستثمار الأكبر هو الاستثمار في جيل طاهر ينشأ على الحلال والتقوى.

ماذا أعددت لغد؟

الدكتور: عمر شليك

"ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، ولكنني أحب الله ورسوله"، قال له النبي عليه الصلاة والسلام: "أنت مع من أحببت". يقول أنس رضي الله عنه: "فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنك مع من أحببت). وأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم". (البخاري ومسلم)

نعم؛ إنها بشارة عظيمة، لكنها ليست دعوة للتكالية، بل دعوة لإخلاص المحبة، وترجمتها إلى عمل. فالمحب الصادق لا يكتفي بالشعور القلبي، بل يسعى لأن يسير على درب من يحب، ويتخلق بأخلاقهم، ويتبع آثارهم.

الإنسان فانٍ، والموت فجائي، والذين من قبلنا أين هم؟ فكما أن الموت حقيقة قريبة لكل فرد، فإن القيامة كذلك حقيقة قريبة للكون كله. والله سبحانه يذكّرنا بذلك كثيرًا:

ماذا أعددت لغد، في هذا المقال، نقترّب من هذا السؤال، لا لنخاف، بل لتأمل، ونعيد ترتيب الأولويات... فماذا أعددتا للقاء الله؟

كثيرًا ما ننشغل بالغد الدنيوي: مهام، مواعيد، وتخطيط لما نريد إنجازه. لكن هناك "غداً" أعظم، لا تؤجّل فيه القرارات، ولا يُقبل فيه التردد... ذلك هو غد الآخرة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله: "متى الساعة؟"، فلم يجبه عن وقتها، بل وجّهه إلى الأهم فقال: "ما أعددت لها؟" سؤال يحمل كل المعنى: ليس المهم متى تأتي الساعة، بل الأهم: هل نحن مستعدون لها؟

إن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام لذلك الأعرابي: "ما أعددت لها؟" يختصر فلسفة الحياة كلها. فالساعة آتية لا محالة، ولكنها ليست هي محور الاهتمام في حياة المؤمن، بل الاستعداد لها بما يقربه من الله. ولما أجاب الرجل بقوله:

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل، ٧٧].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف، ١٨٧]

وفي آية أخرى يأمرنا الله تعالى بالاستعداد

لذلك اليوم العظيم قائلاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر، ١٨]

وقد جاء التعبير عن يوم القيامة بكلمة "غد" للدلالة على شدة قربهِ، حتى كأنه سيأتي بعد هذا اليوم مباشرة. كما يشير إلى أن عند الله يومين فقط: يوم الدنيا للعمل، ويوم الآخرة للجزاء.

ولهذا فالعقل لا يضيّع يومه باللغو واللعب وينسى غده الأبدي، بل يجعل عمله اليوم زاداً ليوم القيامة، وأساس هذا الاستعداد هو "التقوى"، أي الخوف من الله ومراقبته واجتناب معصيته.

ويروي جرير بن عبد الله رضي الله عنه حادثة مؤثرة قال:

كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلّى ثم خطب فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء، ١] إلى آخر الآية، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء، ١] والآية التي في الحشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر، ١٨]

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمرة قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه

تعبز عنها، بل قد عبزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه النبي ﷺ يتهلل، كأنه مذهب.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة هي أشقّها على النفس في الدنيا. فمن روّض نفسه وأكثر من الأعمال الصالحة وجد الأجر الجزيل، وأما من جاء بلا عمل فإنه يأتي صفر اليدين".

فالناس عند موت أحدهم يسألون: "ماذا خلف وراءه؟" أما الملائكة فيسألون: "ماذا قدّم لآخرته؟" ولهذا يقول الله تعالى عن المتقين حين يدخلون الجنة:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر، ٧٤]

الاستعداد ليوم القيامة لا يعني أن نكون ملائكة، لكن أن نكون صادقين، مجتهدين، عائدين دوماً إلى الله كلما زلّت أقدامنا. فما أعدنا من حب، وما صحبناه من نية صالحة، وما بذلناه من جهد، هو ما سيبقى معنا في "غد" الحقيقة... يوم الوقوف بين يدي الله.



أيها المؤمن، اجعل هذا

السؤال أمامك كل يوم:

"ماذا أعددت لغد؟"

ليس غد العمل، ولا غد الدراسة، بل غد

اللقاء، غد الحساب، غد الرحيل.

ابدأ اليوم، ولو بخطوة، فإن أحببت الله ورسوله

بصدق، وسلكت سبيلهم،

فلك البشارة:

"أنت مع من أحببت."

ترك أثر حسن

الدكتور. سليمان درين

يتضح من هذا أن شهادة عباد الله لها وزن كبير في محكمة الله الإلهية. ولهذا السبب، ولأجل أن تستمر شهادة الناس الحسنة بعد موتنا، أوصى النبي ﷺ بثلاثة أعمال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [مسلم، الوصية، ١٤].

ولو تأملنا في هذه الثلاث، لوجدنا أن جميعها تدور حول خدمة الناس: الأولى تتعلق بتلبية حاجاتهم المادية، والثانية بخدمة حياتهم الروحية، أما الثالثة فهي التربية الروحية التي نمنحها لأبنائنا وأقربائنا. فالمسلم الواعي لا يهمل المجتمع وهو منشغل بأسرته، كما لا يغفل عن أسرته وهو في خدمة المجتمع.

وقد عمل الصوفيون على أداء هذه الأعمال الثلاثة، ولكنهم تركوا جانب العطاء المالي للأمرء والأغنياء حتى لا يشغلهم عن تربية الناس. وكانوا يرون جميع المؤمنين كأفراد في عائلتهم، وفتحوا قلوبهم لكل محتاج إلى التربية الروحية، وجعلوا من خدمة الأمة الإسلامية عملاً دائماً لهم.

وقد اعتبروا هذا العمل وظيفة بدوام كامل، لأن تربية الإنسان من أصعب المهام، والإنسان هو المخلوق الذي يحتاج لأطول وقت في التهذيب. فقد يستغرق بلوغ الكمال من شخص واحد سنوات عديدة.

وفي أوقات كان الناس فيها جوعاً روحياً، لم يرَ الصوفيون من اللائق أن ينشغلوا بأمور الدنيا ويتركوا التبليغ والإرشاد، بل كرّسوا أوقاتهم لتربية الناس كما كان يفعل الأنبياء. وكنيجة طبيعية لذلك، استمر ذكرهم بعد وفاتهم في قلوب الملايين.

خلق ربنا سبحانه وتعالى الموت والحياة اختباراً لنا، واشترط علينا أولاً الإيمان به وطاعته، ثم خدمة عبادته، لنستحقّ الجنة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن شهادة الناس الحسنة على شخص ما تعدّ أمراً بالغ الأهمية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: مروا بجنائز، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: "وجب" ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: "وجب" فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: "هذا أثنيتم عليه خيراً، فوجب له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً، فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض" [رواه البخاري، كتاب الجنائز].





من يسعى لهداية الناس إلى الإيمان والمعرفة في سبيل الله، فلن تُنسى أسماؤهم أبداً. ومع ذلك، فإن الشهرة في عرف الصوفيين تُعدّ بلاءً، ويُوصى بتجنبها. لكن إذا أحبَّ الله عبده، فذلك شيء آخر! فالؤمن المخلص الذي يزكي نفسه، ثم يواجه آلاف الصعوبات في طريق الإرشاد، لن يكون مساوياً للعامة الذين يتبعون أهواءهم.

فمن يعطي الخبز للفقير، ينقذه ليوم واحد، أما من يعلم الناس أخلاق الإسلام، فإنه يفتح لهم باب الحياة الأبدية. فهل من يعطي خبزاً يساوي من يهب حياة؟

وقد قال مولانا جلال الدين الرومي الذي قضى عمره في خدمة الإنسانية قبل وفاته:

"إذا رأيت نعشي يسير في جنازتي، فلا تظن أن في حزنًا من هذه الدنيا. وإذا رأيت جنازتي، فلا تقل: فراق. لا تبحث عن قبري بعد موتي على الأرض، فقبري في قلوب العارفين".

الإفناق في سبيل الله رزق من الله، فربما لا يرزق كل عبد الغنى، وكذلك العلم والخدمة به رزق لا يُمنح للجميع، لكن التضحية من أجل الحياة الروحية للناس ليست هدفاً بعيداً المنال.

لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز عدداً من عباده الذين ضحّوا بأمواتهم وأنفسهم في سبيله، وكتب أسماءهم بحروف من ذهب في صفحات التاريخ، كأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وعلى رأسهم الأنبياء الذين أرسلهم للبشرية.

وهذا قانون إلهي: من يسعى لهداية الناس إلى الإيمان والمعرفة في سبيل الله، فلن تُنسى أسماؤهم أبداً. ومع ذلك، فإن الشهرة في عرف الصوفيين تُعدّ بلاءً، ويُوصى بتجنبها. لكن إذا أحبَّ الله عبده، فذلك شيء آخر! فالؤمن المخلص الذي يزكي نفسه، ثم يواجه آلاف الصعوبات في طريق الإرشاد، لن يكون مساوياً للعامة الذين يتبعون أهواءهم. يقول الله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية، ٢١]

حقاً، كم من أهل الدنيا تكلم عنهم الناس في حياتهم، ثم ما لبث أن نسي ذكرهم بعد وفاتهم، فلا يُقرأ على

أرواحهم يس، ولا قرآن، ولا تُقدّم عنهم صدقات. في حين أن أولياء الله الذين لم يكن يعرفهم أحد في حياتهم، فإن شهرتهم بعد وفاتهم تزداد يوماً بعد يوم، ويُذكرون دائماً بالخير والدعاء. ومن هؤلاء الأفاضل الذين يتبادرون إلى الذهن فوراً، الشيخ سامي أفندي، الذي أوصل الله ذكره إلى أنحاء العالم بعد سنوات من الإرشاد المليئة بالمشقة.

وسامي أفندي، وموسى أفندي، وسعيد النورسي، وغيرهم من أهل العلم والمعرفة، ممن لا يسع المجال لذكر أسمائهم جميعاً، ما زالوا يعيشون في قلوب الناس اليوم. وعلى العكس، فإن من يترك إرث أجداده الصالحين ويتبع الدنيا، فإنه يلقي كراهية الناس. يا لها من مأساة أن يُضحى بميراث من اجتمعوا لوجه الدين والإيمان من أجل الدنيا! لقد ضحى أجدادهم بديناهم من أجل دينهم، أما اليوم، فهؤلاء يسعون وراء الدنيا، فكيف سيتحدث الناس عنهم بعد وفاتهم؟ ليتأملوا ذلك قليلاً!

وخلاصة القول أننا إن كنا نرغب في أن نُذكر بالخير بعد وفاتنا، فعلينا أن نبحث عن كسب القلوب لا المال. فالشهرة التي يشتريها المال والسلطان مؤقتة، فقد ملأ الطاغية الأسد مؤخراً سوريا بتمائله وصوره، وتظاهر بأنه أكثر شخص محبوب، لكنه انتهى إلى منزلة التاريخ.

نسأل الله أن يحفظ قلوبنا من الانخداع بزينة الدنيا، وأن يرزقنا أن نُذكر بالخير بعد حياة في خدمة الإنسانية والإسلام. آمين.



من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

ملجأ السالك إلى الله: الدموع

أي: هم الذين تابوا من ذنوبهم، وهاجروا من دائرة العصيان إلى دائرة الطاعة، وجاهدوا أنفسهم وشياطينهم، والتزموا بأوامر الله ونواهيه، وطلبوا رضوانه، فهؤلاء لهم رحمة الله.

إذن لا تكفي مجرد الدعوات والأقوال، بل لا بد من العمل والعبادة حتى ينال العبد رحمة الله. قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأنعام، ١٦٠].

فالمؤمن إذا عبد الله مئة سنة كتبت له ألف سنة حسنة. والكافر إن عاش مئة سنة فلا يُجازى إلا بمثلها من العذاب. غير أن المؤمن كانت نيته أن يعيش مؤمناً إلى الأبد، والكافر كانت نيته أن يعيش كافراً إلى الأبد، ولذلك كان جزاؤهما في الآخرة أبدياً، ثواباً أو عقاباً.

فالنية إذن رأس مال عظيم بلا تعب. قال عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات". فالعمل يُصلحه النية وتُفسده النية. حتى الأنبياء عليهم السلام أكلوا ولبسوا وتعاملوا في الدنيا، ولكن نياتهم كانت متصلة برضا الله، فصار كل فعل لهم عبادة فالمؤمن بمجرد أن ينوي ألا يعصي الله أجره الله. والنية من خصائص بني آدم، لا يشاركهم فيها الملائكة. لكن لكي يُوفَّق العبد للنية الخالصة لا بد من تصفية القلب والسعي للإخلاص.

كما أنّ لكل دولة قوانينها، فله تعالى أيضاً شريعته، من عمل بها سعد، ومن أعرض عنها استحق العقوبة.

إن السالكين إلى الله ﷻ ليس لهم من ملجأ يتقربون به إلى ربهم سوى الدموع، وذلك لأن: الدموع هي تعبير القلب عن الحسرة، وهي دعاء العين وتضرّعها. والدموع تحمل معنى الندم، فهي نوع من التوبة إلى الله. والدموع هي لغة الحب الباطني التي تفيض بلا كلمات ولا صوت. والدموع هي لسان حال قلب العارف. الدموع: هي استرحام العبد لربه طلباً للمغفرة. الدموع: هي درر العبودية التي يقدمها المذنبون بإخلاص وصدق إلى ربهم.

الدموع: لؤلؤة صافية من أجل الله، تحمل في داخلها حبات الرحمة والمغفرة والتوبة النصوح. الدموع: غفران للذنوب. الدموع: حبة الإخلاص عند المخلصين. الدموع: جبل النجاة للعاصيين.

وخلاصة القول: إن الدموع هي

الملجأ الوحيد للواصلين إلى مرضاة الله. قال تعالى: ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت، ٢-١]

إن في القضايا القضائية لا بد للمدعي من إثبات دعواه بشاهدين، وهكذا نحن نقول: "نحن مؤمنون" وهذا يحتاج إلى إثبات. والشاهدان هما: العمل والعبادة، فلا يثبت الإيمان بدونهما... قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال، ٧٤].



طريق المعرفة هو طريق السعداء

يقول الشيخ عبد الرحمن السلمي رحمه الله: إن الله تعالى خاطب هذه الطائفة بالإشارات، بينما خاطب سائر الناس بالعبارات. رزقهم الإخلاص في عباداتهم فصاروا من أهل الإخلاص، وعرفهم حقائق وحدانيته فنالوا أعظم النعمة، وأمدّهم بقوة على الاستمرار في مناجاته، وأكرمهم بمحبته، وطهر أرواحهم بهذه المحبة، وقربهم إلى حضرته، وأفاض عليهم مواهبه التي لا تنفذ، وأظهر معاني كلامه الإلهي فيهم وبهم، وجعل قلوبهم وألسنتهم مجاري أنهار الحكمة، واتخذهم أنسًا لنفسه، وحفظ ظاهر أحوالهم من كل سوء، وجعلهم في الأرض مصدرًا للنور، وفي السماء قدوة للملائكة... هم دائمًا مشغولون بالله، ولا يجدون سلوهم إلا به. ما لم يكرسوا أنفسهم لله لم تُفتح لهم خزائن الأسرار، فلما تركوا كل ما سوى الله فتح لهم خزائنه التي لا تنفذ. اختارهم من بين عباده، وجعلهم منارات للنور في البلاد، وصار هو أنيسهم وجليسهم ومصاحبهم، وفرحة قلوبهم ونور أعينهم. يظهرون بين الناس بأجسادهم، ولكن قلوبهم لا تفارق الحق لحظة، وأرواحهم عند المولى سبحانه.

وأقل ما يجنيه المرء من علم المعرفة، ولو لم يبلغ مقام المشاهدة، هو النجاة من الإنكار. أي إنه وإن لم يصل إلى كمال المعرفة، فإنه ينال فضيلة الاعتراف بعجزه، ويرتبط بدائرة التسليم. وهنا يكون مقام توحيد المؤمنين، ومن خلاله يأمن المسلمون من أعدائهم، ويخلصون في دينهم من البدع.



سواء كان المرء أديبًا أو مفسرًا أو محدثًا أو فقيهاً أو متكلمًا، ومهما بلغ من التعمق في أي علم من العلوم، فإنه ما لم يُعرض بقلبه عن الدنيا وشهواتها، وعن حب المال والمنصب، وعن الالتفات إلى الناس وجميع لذائذ الدنيا وشهواتها، وما لم يكرّس نفسه لطريق معرفة الله، ويعيش حقائق الدين في حاله ومقاله، فإنه يُعدّ من عامة الناس.

فالإنسان يتعلم لله ويتصرف لله. يلتزم بجميع حدود وآداب الشريعة، ويولي عباداته العناية والاهتمام، ويترك ما نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويظهر قلبه من حب المال والجاه. يرى الدنيا حقيرة لا قيمة لها، ويخرج الآخرة من قلبه فلا يلتفت حتى إلى جنان الفردوس، ويجعل كل سعيه وهمته في كسب محبة الله تعالى، في معرفته ومحبته وعبادته وحده. مثل هذا الإنسان يُعدّ من الخاصة.

أما إذا لم يفعل ذلك، وألقى قلبه إلى متعة من متع الأغيار، فإنه يهلك في هذا الوادي، إذ كل المخاطر تكمن في دقة هذا الطريق. ومن لم ينتبه لهذه الدقة يهلك تسعة أعشارهم. وأما من لم ينساق وراء أمواج بحر الكثرة، وجعل نظره مقصورًا على الله، فإنه يعثر على اللؤلؤ المخبوء، وينال السعادة، ويصل إلى سرّ الكنز المكنون. ولهؤلاء العباد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء، ١٠١]

أمثلة سامية من الأخلاق العظيمة

الأجل

الإنسان مولع بالجمال، فسواء في الصورة أو في السيرة، يبحث كل موجود عن الحسن ويعشق الكمال. كما أن مورد الماء العذب مزدحم بالناس، فإن روح الإنسان تُبدي إعجاباً بأجل شخصية وتميل إلى أجمل خُلق... وقد أجاب الحق سبحانه عن سؤال: لماذا خلق الله الوجود والعدم؟ بقوله:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المك، ٢]

وقد شغلت البشرية نفسها بالفن بحثاً عن هذا الجمال. فلو أن رسماً فانياً تأمل جزءاً صغيراً من هذا الكون اللامتناهي ثم أبدع لوحة فنية، لأبدى الناس إعجاباً شديداً بها، وهنّؤوا الرسام، وأقاموا المعارض لأجلها. لكن الجمال الأحق بالإعجاب هو شخص رسول الله ﷺ.

الناس يُعجبون بالأزهار ذات الألوان الزاهية والروائح العابقة، لكنها تذبل وتذوي بعد حين، لأنها ليست إلا

لقد بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليكون هادياً ومُعَلِّماً للناس، لا يُبلِّغ عن ربه فقط، بل يُجسّد في سلوكه أسمى معاني الأخلاق، كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، ٤].

فقد كان النبي ﷺ قدوةً في الصدق، ورحمةً للمؤمنين وغيرهم، وعدلاً مع أعدائه قبل أتباعه، متواضعاً رغم مكانته، صبوراً في الشدائد، كريماً مع الجميع، وحليماً حتى مع من آذاه. وفي هذا المقال، نسلط الضوء على بعض الأمثلة السامية من أخلاقه العظيمة التي تبقى منارة للبشرية في كل زمان ومكان.



﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران، ٣١]
وسؤال آخر:

- من سيكون إلى جانب من يوم المحشر؟
الجواب جاء في الحديث الشريف:
"المرء مع من أحب" [البخاري، الأدب، ٩٦]

إذن محبتنا لله يجب أن تدفعنا إلى اتباع
رسول الله ﷺ، ومحبتنا للنبي عليه
الصلاة والسلام يجب أن تترجم
إلى اتباع سنته في حياتنا كلها،
فتجمل حياتنا بأدابه وسننه،
ويكون الجزاء الأعظم أن
نُحشر في صحبته يوم القيامة
وفي الآخرة... فإن لم تُثمر
محبتنا هذا الاتباع وهذا التغير
في حياتنا، فهي مجرد دعوى على
اللسان لم تنفذ إلى القلب.

واليوم حين يُذكر «العشق» يفهم على
نحو خاطئ، إذ يُظن أنه مجرد ميل الجسد
إلى الجسد، وهو ليس عشقاً بل شهوة. أما
العشق الحق فهو انجذاب الروح إلى الروح، وهذا هو
الذي يرقّي الإنسان ويقوده إلى محبة الله سبحانه وتعالى.
والعاشق الصادق لا يرى في بذل نفسه وماله في
سبيل محبوبه تضحية، بل يعده أداءً لحق ووفاءً لدين.
وهكذا كان الصحابة، إذ كانوا يرون فداء رسول الله ﷺ
بأرواحهم وأموالهم غاية الشرف، فيقولون:
«يا رسول الله، مُر! نفسي ومالي لك فداء».

رموزاً للجمال الأعظم. أما رسول الله ﷺ فقد جُمع
فيه جمال لا يذبل، وخلال فريدة لا تنفد، فهو ديوان
للأخلاق الفاضلة ورياض من مكارم السجايا.

وقد وصفه رب العزة بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، ٤]

وهذا الجمال ليس لمجرد التأمل والإعجاب، بل
ليُتخذ قدوة ويُتذى به ويُتبع. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب، ٢١]

القدوة المثلى: ففي طبيعة
الإنسان نزعة إلى التقليد.
فأهل الدنيا يقلدون المشاهير
في تسريحة الشعر واللباس
والسلوك وسائر الخصوصيات،
فيعيشون - شعروا أم لم يشعروا
- وهم ينسخون الآخرين. أما أهل
الآخرة وأهل التقوى، فقد منّ الله عليهم
برسول الله ﷺ قدوة كبرى ومثالاً أعلى.

ومسيرة الآخرة، التي تبدأ بعد آخر نفس، مليئة
بالمخاطر والعقبات والأهوال. والطريق إلى الأمان
من تلك الأهوال هو أن يبلغ العبد درجة من القرب
والصحبة مع الله سبحانه، فحينها يكون من أوليائه
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وهنا يطرح سؤال عظيم: - كيف يحبنا الله؟
والجواب:

والذي أوصل الصحابة إلى رضوان الله هو أنهم لم يقتصروا على مجرد المحبة بالقول، بل زينوها بالاتباع العملي لسنة رسول الله ﷺ.

رأى الصحابة في شخص النبي ﷺ قمة الإنسانية، فانقادوا إليه بكل حياتهم، وجعلوا غاية حياتهم تحقيق رغباته... وكانوا ينقلون أوصافه الشريفة للأجيال القادمة كأمانة... قال أبو قرصافة رضي الله عنه: لما بايعنا رسول الله - ﷺ - أنا وأمي وخالتي ورجعنا من عنده منصرفين قالت لي أُمِّي وخالتي: يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن منه وجهًا، ولا أنقى ثوبًا، ولا ألين كلامًا، ورأينا كأن النور يخرج من فيه [الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨، ٢٧٩-٢٨٠]

وكانت ملامحه انعكاسًا لجمال باطنه. وقد شهد بذلك عبد الله بن سلام - وكان من أحبار اليهود - إذ لما دخل النبي ﷺ المدينة أسرع إليه، فما إن نظر إلى وجهه حتى قال: «والله ما هذا الوجه بوجه كذاب»، فأسلم... ولما سُئِلَ خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يصف النبي ﷺ قال: «الرسول على قدر المرسل»، أي من بعثه الله لا يمكن أن يُقدَّر وصفه.

وقال عليّ رضي الله عنه: «من أراد أن يصفه فليقل: لم أر قبله ولا بعده مثله قط»...

ولهذا يجب أن نقرأ ونحدث دائمًا بصفاته وفضائله، ونعرّف بها أبناءنا والأجيال اللاحقة والإنسانية جمعاء.

نماذج من أخلاقه العطرة

خشيتته من الله تعالى

كان عليه الصلاة والسلام في حياته الخاصة يعيش بخوف وخشية من الله تعالى، مع أنه سيد الأنبياء ومعصوم وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إلا أنه كان شديد الحرص على العبادة والطاعة. وكان

يقوم الليل حتى تتورم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟» وكان يسمع من صدره صوت كغليان القدر في صلاته الطويلة خضوعًا لله ﷻ. وإذا رأى غيمة سوداء اضطرب خشية أن يكون فيها عذاب من الله ﷻ. وكان صمته تفكرًا، وكلامه ذكرًا، ولسانه عامرًا بالدعاء والابتغال.

تواضعه عليه الصلاة والسلام

هو عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء وسيد البشر، لكنه إذا تحدث عن مقامه قال: «لا فخر». وحين دخل مكة فاتحًا بعد عشرين عامًا من الدعوة والجهاد، لم يدخلها كقائد متعالٍ، بل كان مطأطئ الرأس على دابته كأنه في سجود، تواضعًا لله تعالى.

رحمته عليه الصلاة والسلام

إنّ جناحي رحمة ذلك النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، لم يشملا البشر فقط، بل شملًا الحيوان والنبات أيضًا. فكانت الإبل التي تتعرض لسوء معاملة من أصحابها تأتي إليه عليه الصلاة والسلام تلجأ وتستجير. لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يسمح حتى بأن يُهزّ شجرة بعنف.

إنّ جناحي رحمة ذلك النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، لم يشملا البشر فقط، بل شملًا الحيوان والنبات أيضًا. فكانت الإبل التي تتعرض لسوء معاملة من أصحابها تأتي إليه ﷺ تلجأ وتستجير. لأنه ﷺ لم يكن يسمح حتى بأن يُهزّ شجرة بعنف.

أما رحمته بأمته فكانت من نوع آخر، إذ قال ﷺ:

«أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل فأبكم ما ترك دينًا أو ضيعة فادعوني فأنا وليه وأبكم ما ترك ما لا فليورث عصبته من كان» (البخاري، تفسير، ١/٣٣، الكفالة، ٥، الفرائض، ٤، ١٥، ٢٥؛ مسلم، الفرائض، ١٤)

وقد علّم عليه الصلاة والسلام أصحابه هذه الرحمة. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوب شوارع المدينة مدفوعًا بإحساس المسؤولية، فيسمع صرخات المستضعفين، ويحمل على ظهره الطعام إلى بيوتهم. وكذلك زين العابدين من السادة الكرام، كان يحمل الطعام ليلاً على ظهره ويوصله إلى بيوت الفقراء. ولم يُعرف سره هذا

إلا عندما وُجد في جسده عند تغسيله أثر الندب من حمل الأكياس على ظهره.

وكان رسول الله ﷺ رحيماً بأمته إلى حد أنه لا يرتاح حتى يقضي حاجة المحتاج. يروي جرير بن عبد الله ﷺ القصة التالية:

كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتايي النار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) [النساء: ١] إلى آخر الآية، (إن الله كان عليكم رقيبا) [النساء: ١] والآية

التي في الحشر: (اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله) [الحشر: ١٨] «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمر» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مذهبة. (مسلم، زكاة، ٦٩)

في مثل هذا الموقف، كان رسول الله ﷺ يُشبع جوعه بإشباع الجائعين، وينسى جوعه في لذة إطعام المحتاجين. وقد شهدت أمنا عائشة رضي الله عنها أنه ما شبع من خبز الشعير يومين متتابعين. ولم يكن ذلك دائماً بسبب الفقر أو قلة المورد، فقد كانت تُهدى إليه الهدايا، وفي سنوات المدينة كان يُعطى خمس الغنائم، ومع ذلك لم يكن يطمئن حتى يوزعها كلها على الفقراء.

كرمه عليه الصلاة والسلام

لم يُعرف عن رسول الله ﷺ أنه ردَّ سائلاً قط. فإذا جاءه أحد يطلب شيئاً ولم يكن عنده ما يعطيه، كان

يعده بأن يوفر له ما يحتاج، أو يأمر بأن يُشترى له بالدين على أن يقضي ذلك لاحقاً... وجاء إليه - صلى الله عليه وسلم - رجل فسأله أن يعطيه، فقال النبي ﷺ: «ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ، فإذا جاءني شيء قضيتُهُ».

فقال عمر: يا رسول الله، ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ قولَ عمر. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، فابتسم النبي ﷺ وقال: «بهذا أمرت» (الهيتمي، ٢٤٢/١٠) وكان الصحابة يتأسون به عليه الصلاة والسلام، فامتثلوا قول الله تعالى:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران، ٩٢)

يقول أنس ﷺ في ذكر تطبيق الصحابة لهذه الآية: «كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار نخلاً في المدينة، وأحب أمواله إليه بستان "بیرحاء"، وكان مقابل المسجد النبوي، وكان رسول الله ﷺ يدخله ويشرب من مائه العذب. فلما نزلت الآية، جاء أبو طلحة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحب أموالي إليّ

بیرحاء، وإنني أجعلها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله. فقال له النبي ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح! ذلك مال رابح!» (البخاري، زكاة، ٤٤؛ مسلم، زكاة، ٤٣-٤٢)

وكان رسول الله ﷺ إذا لم يجد ما يعطي، عمل بقول الله تعالى:

﴿وَمَا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (الإسراء، ٢٨)

فكان يُسلي المحتاج بالكلمة الطيبة.

وعلى الرغم من أنه عليه الصلاة والسلام مرّ بأنواع الشدائد والمحن، إلا أن وجهه لم يخلُ من ابتسامة دائمة.



اهتمامه عليه الصلاة والسلام وعنايته

كان رسول الله ﷺ إذا فقد أحدًا من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان بعيدًا دعا له، وإن كان في بيته زاره، وإن كان مريضًا عادّه. (الهيثمي، ٢، ٢٩٥)

وكان في الغزوات يسير في المقدمة ليثب الشجاعة في القلوب، فإذا رجع اهتم بالجرحى والمحزونين فيسير في المؤخرة. وكان اهتمامه خاصًا بأصحاب الصفة. فقد أنزل بيديه في قبر الشهيد الوحيد في تبوك، عبد الله ذو البجادين. وزار عبدًا كان مولعًا بالجماعة حين مرض، وحضر جنازته لما توفي. وأمر

عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه القرآن، فاستمع إليه باكيًا. وحمل معاذ بن جبل خلفه على الدابة وأوصاه بالنصائح. وفي إحدى الأسفار استمع إلى جابر في مشكلاته المالية والأسرية، فوجد له حلًا كريمًا غير جارح؛ إذ اشترى منه جملة وأعطاه ثمنه، ثم أهدى له الجمل. وكان له من الصحابة عدد كبير زوجهم، وعلمهم الحرف، وأعانهم، ووجههم حتى زالت همومهم.

لطفه عليه الصلاة والسلام وذوقه الرفيع

كان رسول الله ﷺ في غاية اللطف والذوق. فإذا أراد أن ينبه أصحابه على خطأ، لا يواجههم به، بل يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا» (البخاري، مناقب، ٢٥، أيان، ٣)، فيشعر المخطئ أن هذا الفعل لا يليق به، فينزجر بأدب. وكانت لغته عليه الصلاة والسلام كالماء العذب الرقيق، يروي القلوب العطشى باللين والرفق. ومن رقة ذوقه أنه إذا تألم من أمر بدا ذلك على وجهه الشريف، فيتنبه الصحابة ويصلحون الخطأ فورًا. فقد رأى يومًا نخامة في المسجد، فتغير وجهه، فقام أحد الصحابة فورًا وأزالتها (مسلم، مساجد، ٥٣). فكان عليه الصلاة والسلام يعلم الناس النظافة بأرق أسلوب وأدب.

عفوهِ عليه الصلاة والسلام

لم ينتقم رسول الله عليه الصلاة والسلام لنفسه قط، بل كان دائم العفو، يغطي الإساءة بستره وكرمه. حتى أنه عفا عن هبار بن الأسود الذي تسبب في وفاة ابنته زينب رضي الله عنها، لما جاءه معلنًا الشهادة. وعند فتح مكة، جعل ذلك اليوم يوم رحمة لا يوم دماء، مع أن الفرصة كانت مواتية للأخذ بالقصاص من سنوات الظلم. فجمع قريشًا وقال لهم:

«ما تظنون أني فاعل بكم؟»

فقالوا: «نظن خيرًا، أنت أخ كريم وابن أخ كريم».

فقال عليه الصلاة والسلام:

«أقول كما قال يوسف لإخوته:

﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف، ٩٢).

اذهبوا فأنتم الطلقاء» (ابن هشام، IV، ٣٢).

وكان عفوهِ ورحمته الواسعة لا تمنعه من إقامة الحق والعدل.

عدله عليه الصلاة والسلام

لم يكن يغضب لنفسه، ولكنه كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله، فيظهر الغضب في جبينه. وكان يراعي الكفاءة والأمانة، ويضع الأمور في نصابها دون محاباة، حتى مع أحب الناس إليه. وجاءه أسامة بن زيد يشفع في امرأة من قريش سرت، فغضب وقال:

«لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها»

(البخاري، أنبياء، ٥٤؛ مسلم، حدود، ٨، ٩)

جهاده عليه الصلاة والسلام وتفانيه

كان عليه الصلاة والسلام مشغول البال بهداية الناس وإنقاذهم من النار. لم يعرف الراحة أو الإجازة. ففي مكة بلغ الرسالة رغم السخرية والإيذاء والرجم. ووُضع سلا الجزور على ظهره وهو



ساجد، فلم يشك. وفي الطائف رجوه حتى سال الدم من قدميه، ومع ذلك دعا ربه:

«اللهم إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي... اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» (ابن هشام، II، ٢٩-٣٠؛ الهيثمي، VI، ٣٥؛ البخاري، بدء الخلق، ٧).

وكان يولي أصحاب الصفة عناية خاصة، يعدّهم دعاةً يواصلون رسالته بعده. وقد رآه أبو طلحة قائماً يعلمهم القرآن، وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع (أبو نعيم، الحلية، I، ٣٤٢).

مكانته عليه الصلاة والسلام كمعلّم محبوب

الأنبياء مربّون للبشرية، ورسول الله عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى في التربية. ربّي أصحابه بالحلم والصبر والمحبة. وكان أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي خدمه عشر سنوات منذ صغره، يقول:

«ما رأيت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام رؤيا إلا وكان فيها» (ابن سعد، VII، ٢٠).

وهكذا ظل حب النبي عليه الصلاة والسلام يملأ قلوب أصحابه

حتى بعد وفاته. حتى إن عبد الله بن زيد رضي الله عنه لما توفي النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا حاجة لي في عينين لا تريان رسول الله»، فعمي من وقته. وبلال رضي الله عنه فقد رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لم يستطع أن يؤذن من شدة البكاء. وخالد بن الوليد رضي الله عنه كان يحتفظ بشعرة من شعره الشريف في عمامته، ويقول: «ما انتصرت في معركة إلا ببركته». وفي عصرنا هذا ينبغي أن نفهم جيداً جانب التربية والتعليم في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام ونحييه، فهذا دليل محبتنا الصادقة له.

تذكيره بالآخرة عليه الصلاة والسلام

كان رسول الله ﷺ يذكّر أصحابه بالآخرة في أحلك الظروف وأفرحها. ففي غزوة الخندق، وفي يوم فتح مكة، كان يقول:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (البخاري، الرقاق، ١).

وكان يضرب لهم الأمثلة على البعث، فقال لأبي رزين العقيلي رضي الله عنه: «أما مررت بوادي قومك مجدباً ثم مررت به يهتز خضراً؟» قال: «بلى». فقال عليه الصلاة والسلام: «كذلك يحيي الله

الموتى» (أحمد، IV، ١١).

وقال الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس، ٧٧-٧٩).

وفي خطبة الوداع أوصى أمته قائلاً:

«ألا وإني فرطكم على الحوض، وسأباهي بكم الأمم، فلا تسودوا

وجهي» (ابن ماجه، مناسك، ٧٦).

فكان عليه الصلاة والسلام يريد لأمة أن تكون قدوة في التقوى. والتقوى تعني قهر النفس، وتنمية الروح، واستشعار مراقبة الله في كل حال. ولذلك ورد لفظ «التقوى» في القرآن نحو ٢٥٨ مرة. وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة، ٢٨٢).

وختاماً؛ نقول إننا هنا ذكرنا قطرات يسيرة من أخلاق رسول الله ﷺ العظيمة. نسأل الله أن يرزقنا نصيباً منها، وأن يحشرنا تحت لواء الحمد، عند حوض الكوثر، ونحن غير مخجلين لوجهه الشريف. آمين.

الذكر بالخير

الأستاذ. علي رضا تمل

ويُذكر فرعون ونمرود وأبو جهل وأبو لهب باللعن لأنهم رموز الظلم. فكلما ذُكروا شعر الناس بالكآبة والكرهية. ولم يُسمَّ أحدُ أبناءه بأسمائهم. والناس يتعدون عن هذه الشخصيات المليئة بالذكريات السيئة. أما أبو لهب، الذي سبَّ النبي ﷺ وقال له "تَبَّ لك"، فسيلعن إلى يوم القيامة مع كل تلاوة لسورة المسد.

وقد دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام قائلاً:

﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء، ٨٤].

وقد استجاب الله دعاءه، ولأنه نجح في اختبار عظيم كاد يقدم فيه ابنه إسماعيل قرباناً، فقد ذكر بعده بالخير والتكريم، كما قال الله:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾

[الصفات، ١٠٨-١٠٩]. وهذا الثناء الجميل لا يخص إبراهيم فقط بل يشمل جميع الأنبياء.

وما أعظم مكانة النبي ﷺ الذي يُذكر اسمه في الأذان خمس مرات في اليوم في كل أرجاء الأرض. فشرفه عظيم

أعظم ثروة يمكن أن ينالها الإنسان في الدنيا والآخرة هي رضا الله ودعاء الناس له. فغالبًا من ينال دعاء الناس الصالح يكون قد نال رضا الله، إذ لا يُدعى للناس الأشرار بل يُلعنون. وأكثر من يُذكرون في حياتهم وبعد موتهم بالرحمة والدعاء الصالح هم الأنبياء. وتسمية كثير من الناس بأسماء الأنبياء علامة على محبتهم لهم، وتقديرًا لمكانتهم. فعندما يُذكرون، يحلُّ الخير والبركة، وتشعر القلوب بالسكينة والمحبة.

وعادةً ما يُصلى على النبي ﷺ عند ذكره، والصلاة عليه دعاء بالرحمة. وعندما يُذكر الصحابة يُقال: "رضي الله عنهم"، وإذا ذكر العلماء والصالحون يُقال: "رحمهم الله". وهذه الأدعية وفاءً لأولئك الذين تركوا أثرًا طيبًا في حياة الناس. فالخير وأهله يجدون القبول عند الله وعند الناس. ومن آثار الخير التي يتركها الصالحون أعمالٌ نافعة تعدّ صدقة جارية، ما دام الناس ينتفعون بها فإن حسناتهم لا تنقطع، وأجرهم مستمر.

جبريل أنه يُبغض فلائناً، فيبغضه الناس كذلك (انظر: الترمذي، تفسير سورة مريم، ٣١٦٠)

ويتبين من الحديث الشريف أنّ من أراد نيل محبة الناس، فعليه أولاً أن يجعل رضا الله سبحانه وتعالى في المقام الأول. فمن نال محبة المولى، لا بُدَّ أن ينال محبة عباده أيضاً. وهذه المحبة محبة خالصة، لا تُبنى على مصالح أو حسابات، بل هي نابعة من صفاء النية وصدق القلب. أما المحبة المبنية على المصلحة والمنفعة، فليست محبة حقيقية، بل نفاق ورياء. ويمكن التمييز بسهولة بين المحبة الخالصة والمحبة الرسمية. فالمحبة التي تُظهر بسبب منصب أو جاه أو مال، هي محبة زائفة، يتجلى فيها التصنُّع والادّعاء. وهذه المحبة لا تدوم، فإذا زالت المصلحة أو انقطع الأمل منها، زالت معها تلك المحبة المصطنعة. أما المحبة الصادقة، فيما أنها لا ترتبط بمصلحة أو منفعة، فهي تدوم إلى الأبد.

كان الذين يحبون النبي عليه الصلاة والسلام مستعدين للموت على أن يُصاب بأذى، ولم يكونوا ينتظرون منه شيئاً من متاع الدنيا. ذلك أن بدايات الإسلام كانت في ظروف قاسية لا تعد

أحدًا بأي مكاسب مادية أو مناصب دنيوية. بل كانت هناك أخطار على الحياة، وتعذيب، وكل أنواع الأذى والمشقة. ومع ذلك، فإنّ مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يملك كل أسباب الراحة والثراء في مكة، ترك كل شيء وهاجر إلى المدينة، واستشهد في غزوة أحد، ولم يوجد له حتى كفن يُغطّى به جسده، فلو كان فعل ما فعل طمعاً في الدنيا، لما ترك ثروته في مكة وسلك هذا الطريق الشاق. وهذا يدل على أن هناك أنواعاً من اللذات والمحبة لا يعرفها من يسعون وراء الترف والثراء. إنّ لذة نيل رضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تفوق كل اللذات الأخرى. وأصحاب هذه المحبة الخالصة يُحبّون أيضاً بمحبة خالصة، ويذكرون دائماً بالتقدير والمحبة والدعاء.

لا يضاهيه شرف. وهل هناك منزلة أعلى من أن يُذكر الإنسان على هذا النحو الرفيع؟

من أعزّه الله فلا يُذلُّ، ومن أذلّه فلا يُعزُّ. فقد كان النبي ﷺ في بداياته يتيمًا، ولم يكن أحد يتوقع أن تتحول دعوته التي بدأت في ظروف صعبة إلى أعظم ثورة عرفها التاريخ. وقد تعرّض هو وأصحابه للاستهزاء والاضطهاد، لكنهم أصبحوا كما يصفهم القرآن "خير أمة". والتفّ حول دعوته، التي أساسها التوحيد، ملايين من الناس، وأقيمت حضارة أنارت العالم.

الذين أحبوا هذه الدعوة وتحملوا مشقتها، مثل بلال الحبشي وصهيب الرومي - وكانوا عبيداً - صاروا أسياداً وذكروا دائماً بالرحمة. أما الذين عذبوهم مثل أبو لهب وأبو جهل وأمية بن خلف لعنوا. أما "محمد" ﷺ، فمعنى

اسمه "المحمود"، وقد نال هذا الحمد أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح، ٤]

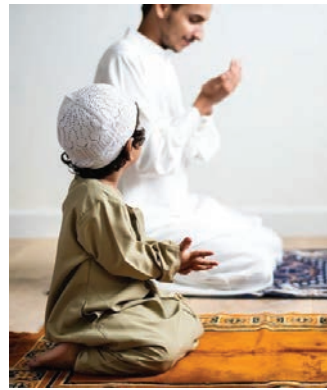
نراه يتحقق في الأذان، والإقامة، والمدائح، وأوائل الخطب والدعاء.

لا يوجد مكسب أعظم من أن يُذكر الإنسان بالرحمة. فقابيل ابن آدم القاتل يُذكر في كل جريمة، لأنه أول من سنّ القتل.

فعلى الإنسان أن يتفكّر في نتائج أعماله وأقواله، الآن وفي المستقبل. فكل فعل أو قول كالبذرة التي تُزرع، وستُظهر نتائجها في وقت ما، إما بفرح أو خزي.

من يعمل في سبيل الله، دون انتظار مقابل مادي، ويترك أثرًا طيبًا نافعًا، فإن الله يحبه ويجعل له قبولاً بين الناس. جاء في الحديث: "إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"، وقد عبّر عن ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم، ٩٦]. وإذا أبغض الله عبداً، نادى



الشيخ يحيون بآثارهم ويترحم عليهم

هناك مَنْ كلما ذُكر، نثر في القلوب بذور الرحمة والخير والجمال.
وهناك من كلما ذُكر، أثار في النفوس الشهوات والشُرور الشيطانية.
فهل يستوي من يُدعى له بالرحمة، مع من تُنهال عليه اللعنات؟ إذًا،
لا ينبغي للمرء أن يعيش فقط بحسب عمره البيولوجي. عليه أن يهتم
بكيف سيُذكر بعد موته.



وربوبيته، فلن يُنسى عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا ولا
في الآخرة، بل ربما لا يُنسى عند الناس أيضًا.

أما الذين يُذكرون عند الناس، فهم نوعان: قوم
يُذكرون في قلوب المؤمنين، وآخرون يُذكرون في
مجالس الكافرين والفاسقين. فالأولون هم علامة
الرحمة، والآخرون هم آية على غضب الله سبحانه
وتعالى. وأن يُذكر المرء في قلوب المؤمنين هو بشارة
بقبوله عند الله سبحانه وتعالى، لأنهم شهود الله في
الأرض. فأن يُذكر الإنسان في قلوب هؤلاء الشهود
بالرحمة والمحبة والاحترام هو طلب سام يجب أن
يكون أمنية كل مؤمن، كما طلبه سيدنا إبراهيم عليه
السلام. قد يكون في الشهرة والاعتبار في الدنيا خطر
وبلاء، ولكن بعد الموت، فإنها قد تكون سببًا للرحمة.
إذاً أن يجد الإنسان موضعًا حسنًا في قلوب المؤمنين،
هو نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى. أما أن يكون
محبوبًا عند الفساق والمنافقين والكافرين، فذلك علامة
شقاء يجب أن نستعيد بالله منها.

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله:

"لا تبحثوا عن قبورنا في الأرض بعد موتنا، فإن
قبورنا في قلوب العارفين."

في هذا العالم، النسيان يؤلم الأحياء، أفلا يؤلم من
رحلوا عن هذه الدنيا؟ بل، يؤلمهم. ليس كل من نسي
يُسبب ألمًا في القلوب، ولكن هناك أنواعًا من النسيان،
تجعل الألم شيئًا يسيرًا بجانبها. لا أحد يرغب في أن يُمحيى
من قلوب من أحبهم وقدرهم. الكل يريد أن يُذكر دومًا.
وقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه بهذا الدعاء:

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء، ٨٤]

إن ربنا لا ينسى بعض عباده، إما لأنه أحبهم، أو
لأنه غضب عليهم. وقد ذكر الله في القرآن الكريم أنبياء
الذين اصطفاهم، وأمر بعدم نسيانهم، بل قال عنهم:
"سلامٌ على..." لِيُذكروا بالخير. وذكر أيضًا أمثال فرعون
ونمرود، لا لِيُخلدوا، بل ليكونوا عبرة للعالمين. فما أعظم
الشرف الذي يناله العبد إذا ذُكر في العُلى بالثناء والرضا!
وهل هذا التشريف محصور بالأنبياء فقط، أم أن أبواب
هذا الفضل مفتوحة لعباده الآخرين أيضًا؟ إن هذه الآية
الكريمة وكأنها إعلان عام لكل الخلق بأن من يذكر الله في
دنياه فلن ينسيه الله:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة، ١٥٢]

نعم، من يذكر الله في كل لحظاته، في ليله ونهاره،
في الشدة والرخاء، من يتبع أحكامه ويعظمه بصفاته

نعم، ما أعظم أن يترك الإنسان خلفه آثارًا يُقتدى بها، فهي رأس مال عظيم للأخرة. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا الكنز بقوله:

"من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" [مسلم، الزكاة، ٦٩]. انظر أيضًا: النسائي، الزكاة، ٦٤]

إن العمر البيولوجي للإنسان محدود حتمًا وسينتهي في يوم ما. لكن العمر الذي تتركه آثاره قد يمتد إلى يوم القيامة. نعم، هذه الآثار تُسجل أيضًا في صحائف الأعمال. يقول الله تعالى في الآية:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس، ١٢]



العلماء الذين تركوا علومًا والعارفون الذين خلفوا إراثًا من المعرفة، والمربّون الذين نشأ على أيديهم أجيال، والمهندسون والمحسنون الذين شيّدوا القباب، والمدارس، والمستشفيات، والأوقاف. والشهداء والمجاهدون الذين تركوا وطنًا تُعاش فيه القيم والكرامة، ورجال الأخلاق والفضيلة والأدب، وغيرهم من الصالحين الذين ركبوا الخيول البيضاء ورحلوا، لكن آثارهم لا تزال بيننا، وربما ستظل إلى يوم القيامة.

إن نسيان هؤلاء نقص عظيم، والسعي إلى محو ذكراهم ذنب جسيم.

هناك من كلما ذكر، نثر في القلوب بذور الرحمة والخير والجمال. وهناك من كلما ذكر، أثار في النفوس الشهوات والشرور الشيطانية. فهل يستوي من يُدعى له بالرحمة، مع من تُنهال عليه اللعنات؟ إذا، لا ينبغي للمرء أن يعيش فقط بحسب عمره البيولوجي. عليه أن يهتم بكيف سيُذكر بعد موته. لا يجب أن يكون ممن يستحي منه أولاده وأقاربه وأصدقاؤه حين يُذكر اسمه، بل عليه أن يكون إنسانًا عزيزًا يُفتقد بشوق، ويُذكر بالدعاء، ويفرح القلوب بالحمد والثناء كلما ذكر.

وخلاصة القول، حين نودّع هذه الدنيا، ينبغي أن نترك وراءنا صدى طيبًا.

نعم، ما أعظم أن يسكن الإنسان في قلوب العارفين! ولا شك أن تقسيم هذه النعمة أيضًا من اختصاص الله رب العالمين. ومع ذلك، فإن الله تعالى هو الذي أمرنا بأن نسأله من فضله. لذا، فإن طلب هذا الفضل وهذه الكرامة من الله هو باب مفتوح لكل واحد منا. ويجب أن نكون طلابًا لهذا الفضل بقولنا، وفعلنا، وحالنا.

الحجر الذي صعد عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة، والذي يُعتقد أنه دعا الناس إلى الحج من فوقه، أصبح موضعًا مباركًا يُعرف بـ "مقام إبراهيم" بجوار الكعبة. وبالنظر إلى هذا المشهد المؤثر، يمكننا القول:

"ينبغي لكل مؤمن أن يحرص على أن يترك في الأماكن التي يحل فيها أثرًا طيبًا، لا يُمحى بمرور الأيام، ولا يُنسى مع تعاقب الأجيال؛ أثرًا من عبادة، أو ذكر، أو دعاء، أو علم نافع، يجعل من تلك البقاع مواضع مباركة، تشهد له لا عليه، وتكون علامة على خضوعه لله، وسعيه لعمارة الأرض بطاعة الله. فليكن وجودنا في أي مكان ليس مجرد مرور عابر، بل شهادة حية على أن هذا القلب قد سجد، وهذه العين قد بكت، وهذه اليد قد عملت في سبيل الله، حتى إذا رُفع الأذان الأخير، وُبعث الناس من قبورهم، نطقت الأماكن بما فيها، وقالت: هنا مرّ عبدٌ من عباد الله، ترك خلفه أثرًا لا يُمحى، وذكرًا لا يُنسى."

حاجاتنا ليست في الشاشات

تعد التكنولوجيا مجرد أداة، بل أصبحت قوة تُشكّل هوية الإنسان ذاته. وفي العصر الحديث، يجادل مفكرون مثل فوكو بأن الإنسان لم يعد يتحكم في التكنولوجيا، بل أصبح هو نفسه مشكلاً بواسطة هذه التكنولوجيا. كل ثانية نقضيها في وسائل التواصل الاجتماعي تتحول إلى وسيلة لعرض حياتنا بشكل "أفضل".

لكن في طبيعة وسائل التواصل الاجتماعي يكمن نقص جوهري: فكرة "كيف يرانا الآخرون" أصبحت تؤثر بشكل عميق على طريقة بنائنا لهويتنا. إذا تأملنا في نهج بريدوتي ما بعد الإنسانية، نجد أن الإنسان في العالم الرقمي لم يعد مجرد مستخدم لأدواته فحسب، بل أصبح جزءاً منها أيضاً. لقد تحولنا إلى انعكاس ممزق لأنفسنا. وبالتالي، كلما زاد عدد متابعينا، اعتقدنا أن هويتنا أصبحت أكثر تماسكاً. لكن هذا في الواقع مجرد وهم... أما إذا عدنا إلى التقاليد الإسلامية، فسنجد أن الأمر يأخذ مساراً مختلفاً تماماً. ففي تعاليم الإسلام، يُبنى السلام الداخلي بمعزل عن تأثيرات العالم الخارجي. يقول الله تعالى:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة، ٢٨٦]

وهذه الآية تذكّرنا بأن القيم المستندة إلى التأثيرات الخارجية لا ينبغي أن تفسد جوهر الإنسان. في الإسلام، يتعين على الإنسان أن يطهر نفسه بقلبه وعقله، وأن يعيش حياة تتماشى مع هذه الطهارة. لكن ثقافة الاستعراض التي جلبتها وسائل التواصل الاجتماعي تدفعنا إلى بذل مزيد من الجهد لنشبه الآخرين. وهذا في الحقيقة يبعدنا عن أنفسنا وعن بعضنا البعض... فكيف نخرج من هذا المأزق؟

وسائل التواصل الاجتماعي هي واحدة من أكبر منتجات التكنولوجيا. يمكننا اليوم الوصول إلى من نريد في لحظة، لكن حينما نغرق في حياة الآخرين، نشعر وكأننا أصبحنا أكثر اغتراباً عن أنفسنا. متى كانت آخر مرة وجدنا فيها أنفسنا حقاً في لحظات لا نحاسب فيها أمام أحد؟ اليوم، إلى أي مدى نشارك حياتنا مع الآخرين؟ وما مقدار ما نشاركه بالفعل من ذواتنا الحقيقية؟ وكم منه مجرد استعراض لنبدو جيدين أمام الآخرين؟ هذه الأسئلة تحولت إلى دائرة فارغة فقدت معناها منذ زمن، وهي تهدد صحتنا النفسية.

عند النظر إلى الفلسفة الغربية، نجد أن العلاقة مع التكنولوجيا تُرى عادة على أنها شيء يمكن للإنسان التحكم فيه. فديكارت، الذي ميّز بين العقل والجسد، يرى العلاقة مع التقنية كعلاقة بين وسيلة وغاية. لكن اليوم، لم





السعي وراء "المزيد من المعلومات" لا يجعلنا بالضرورة أكثر حكمة أو أكثر سعادة. ما يهم حقاً هو كيف نستخدم هذه المعرفة، وكيف نعالجها، وكم منها يمكننا استيعابه. أحياناً، ترك الشاشة جانباً والخروج إلى الطبيعة، أو الجلوس بهدوء للتفكير، أو حتى إجراء محادثة طويلة مع صديق قد يكون أكثر فائدة لروحنا. لأن احتياجاتنا الحقيقية كامنة في مكان يتجاوز الشاشات؛ في الصبر، والبساطة، والواقع.

التواصل الاجتماعي، بحيث يُسمح لهم فقط بالدخول إلى المنصات المتعلقة بالتعليم. النتيجة؟ ارتفعت نسبة نجاح الطلاب بنسبة ٢٠٪، وذكر ٤٠٪ منهم أنهم أصبحوا أقل توترًا.

الرياضة: فن الابتعاد عن النفس، وليس فقط التكنولوجيا الرياضية في التقاليد الإسلامية تعني تهذيب النفس. لكنها ليست مجرد الامتناع عن الطعام والشراب؛ بل تتعلق أيضًا بتطهير الروح والتخلص من التعلقات غير الضرورية. وهنا تمامًا يتداخل إدمان وسائل التواصل الاجتماعي مع هذا المفهوم.

يمكن تحويل مفهوم الرياضة إلى ممارسة رقمية في العالم الحديث. على سبيل المثال، حاول عدم الدخول إلى وسائل التواصل الاجتماعي لمدة أسبوع كامل. في البداية، قد تجد الأمر صعباً، لكن سرعان ما ستشعر بهدوء داخلي. الأمر أشبه بصيام النفس؛ تتعلم التحكم في رغباتك. خلال هذه الفترة، ستلاحظ كيف أن ذهنك يصبح أكثر صفاءً.

سأشرح الأمر بطريقة بسيطة، لأن المسألة جادة لكن الحل أقرب مما تتخيل.

التخلص الرقمي: خذ استراحة من الشاشات

التخلص الرقمي هو طريقة تمنح العقل فرصة للراحة عبر الابتعاد عن الشاشات. من يمكنه إنكار أهمية ذلك في عالمنا الحديث؟ تشير الدراسات إلى أن التخلص الرقمي يمكن أن يحسّن أنماط النوم بنسبة تصل إلى ٥٠٪ ويقلل بشكل ملحوظ من مستويات القلق (Journal of Behavioral Addictions). تخيل لو قررت عدم لمس هاتفك ليوم واحد في الأسبوع! بدلاً من ذلك، يمكنك قراءة كتاب، أو الخروج في نزهة في الطبيعة، أو حتى الجلوس بهدوء والتفكير. وإذا كنت تقول: "لكن لدي أعمال ومهام كثيرة، لا يمكنني ذلك"، فيمكنك أن تبدأ بما يسمى "التقليل الرقمي"، وهو ما سأوضحه بعد قليل. وكما يقول الحكماء: "من جلس مع نفسه، جلس مع الحقيقة". ربما حان الوقت لنغلق شاشاتنا ليوم واحد ونشعل الضوء في دواخلنا.

التقليل الرقمي: استخدم أقل، وجد السلام أكثر

التقليل الرقمي هو مفهوم يهدف إلى الحد من الوقت الذي نقضيه على وسائل التواصل الاجتماعي ليقصر فقط على المحتوى الضروري والمفيد. على سبيل المثال، وكما يقترح كال نيوبورت، يمكنك استخدام المنصات التي تفيدك فعلياً فقط. هذا النهج لا يقلل فقط من إدمان وسائل التواصل الاجتماعي، بل يخفف أيضاً من الإرهاق الذهني.

تخيل أن لديك غرفة، لكنها فوضوية جداً لدرجة أنك لا تستطيع العثور على أي شيء فيها. قد تكون حياتك الرقمية مشابهة لذلك. احذف التطبيقات التي لا تستخدمها، وأوقف الإشعارات. وصدقني، لست مضطراً للضحك على كل مقطع فيديو يظهر فيه قط. عندما تفعل ذلك، ستشعر بفراغ ذهني مريح.

على سبيل المثال، نفذت إحدى المدارس في فنلندا برنامجاً يحد من استخدام الطلاب لوسائل

أحد أصدقائي قرر في رمضان الماضي الابتعاد تمامًا عن وسائل التواصل الاجتماعي. وصف هذه التجربة بـ "صيام الشاشة"، وقال إنه بعد انتهاء التجربة، أصبحت علاقاته العائلية أقوى، وشعر بسلام داخلي أكبر. في عصر التكنولوجيا، يمكن أن تكون الرياضة وسيلة فعالة لتحرير الروح.

التعليم والرقابة الأبوية: تعليم أطفالنا العالم الرقمي الأطفال والمراهقون هم أكثر الفئات تأثرًا بوسائل التواصل الاجتماعي. لذا فإن تعليمهم كيفية استخدام التكنولوجيا بوعي يمكن أن يكون حلاً طويلاً الأمد. يمكن للعائلات والمدارس العمل معًا لتحقيق ذلك. على سبيل المثال، في كوريا الجنوبية، طُبّق مشروع لمساعدة الشباب على مواجهة إدمان التكنولوجيا. في هذا البرنامج، تم توجيه الشباب نحو الأنشطة البدنية والفنية والاجتماعية بدلاً من وسائل التواصل الاجتماعي. وأفاد المشاركون بانخفاض نسبة الإدمان الرقمي لديهم بنسبة ٢٥٪. علينا أن نعلم الأطفال أن وسائل التواصل الاجتماعي ليست سوى أداة، وأن الحياة الحقيقية تكمن في العلاقات الإنسانية الواقعية.

ختام صادق: تذكر إنسانيتنا

لنفترض أننا تعلمنا التحكم في التكنولوجيا، وأصبحنا نستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بوعي، بل وركزنا على المحتويات المفيدة. ومع ذلك، لا تنتهي المشاكل، أليس كذلك؟ لأن القضية ليست فقط

في مدى "صحة" استخدامنا للتكنولوجيا، بل أيضًا في مدى قدرتنا على استيعابها. فللإنسان حدود؛ لدينا طاقة جسدية، وذهنية، وعاطفية معينة. والتعرض اليومي لكم هائل من المعلومات - حتى لو كانت مفيدة - يرهق هذه الحدود.

عقل الإنسان لم يتطور ليتعامل مع هذا السيل المتواصل من المعلومات. أظهرت دراسة أجرتها جامعة هارفارد أن التعرض المستمر لتدفق المعلومات يؤدي إلى "الإنهاك المعرفي"، أي إن قدرتنا على اتخاذ القرارات والتركيز تضعف كلما تعرضنا للمزيد من المعلومات. لدرجة أننا أصبحنا غير قادرين على قراءة خبر حتى نهايته. فذلك السلوك الذي نقوم به مرارًا وتكرارًا - التمرير المستمر عبر الشاشة - يضعف صبرنا تدريجيًا.

حتى لو تعلمنا استخدام التكنولوجيا بشكل صحيح، فإن وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من الأدوات تختبر طبيعتنا البشرية باستمرار. وهنا مرة أخرى، يُثبت مفهوم "الرياضة" في التقاليد الإسلامية أهميته: لا ينبغي علينا فقط تجنب الضار، بل يجب أيضًا الابتعاد عن الإفراط. لأن أجسادنا وعقولنا ليست مهيأة للتحفيز المستمر.

علينا أن نتذكر: السعي وراء "المزيد من المعلومات" لا يجعلنا بالضرورة أكثر حكمة أو أكثر سعادة. ما يهم حقًا هو كيف نستخدم هذه المعرفة، وكيف نعالجها، وكم منها يمكننا استيعابه. أحيانًا، ترك الشاشة جانبًا والخروج إلى الطبيعة، أو الجلوس بهدوء للتفكير، أو حتى إجراء محادثة طويلة مع صديق قد يكون أكثر فائدة لروحنا. لأن احتياجاتنا الحقيقية كامنة في مكان يتجاوز الشاشات؛ في الصبر، والبساطة، والواقع.

يجب أن تكون التكنولوجيا خادمة لنا، لا سيدًا علينا. لسنا بحاجة لاستغلال كل ما تقدمه لنا. فأحيانًا، الأقل يكون أكثر... تمامًا كما هو الحال في الحياة.



نحن أحرار بقدر ما نتخلي ونترك

مع الأستاذ د. سرتاج تيمور ديمير حول امتحان المسلم مع العالم الرقمي

إن الجفن في عالم مليء بالشاشات أصبح أكثر قيمة من أي وقت مضى. هذا العصر هو عصر يمكن فيه الحصول على الحرية ليس من خلال امتلاك الأشياء، ولكن من خلال رفض امتلاكها. نحن أحرار بقدر ما يمكننا تجنب الأشياء والتخلي عنها.

يبدأ في البحث عن كيفية تحليل تلك المشاكل، وفي النهاية يتساءل: هل هناك علاج لها؟ ويبدأ في البحث عن هذا العلاج. أما السؤال الأكثر أهمية بالنسبة لي، سواء في هذا الكتاب أو في مساري الفكري بشكل عام، فهو: "من هو الإنسان؟" ويتفرع هذا السؤال إلى سؤالين آخرين: "ما الذي يُجبر الإنسان على أن يكون عليه في هذا العصر؟" و"رغم كل شيء، كيف ينبغي أن يكون الإنسان؟" كل محاولة للفهم تنتهي حتمًا بمواجهة لا مفر منها.

في هذا الكتاب أيضًا لاحظت خلال السنوات الأخيرة أنني أنا وأصدقائي وأفراد أسرتي بدأنا نبنى علاقة مكثفة ومشكلة مع تقنيات الهاتف المحمول التي يُقال إنها تسهل حياتنا. فوفقًا لذلك، لم تعد هذه الأجهزة مجرد أدوات تُسرّع أعمالنا أو تُسرّعها، بل أصبحت وكأنها جزء لا يتجزأ من حياتنا، وكأننا لا نستطيع العيش بدونها. يمكنني أن أقول إن هذه

أستاذي، في البداية أريد أن أسألكم ما الهدف من تأليفكم لكتابكم الجديد (وجاء المستقبل - تأملات الآخرة حول الحياة التقنية)؟ ما الرسالة التحذيرية التي أردتم توجيهها للناس في هذه الفترة التي باتت التكنولوجيا تهيمن فيها على حياتنا؟

يمكنني القول إن دافعي الأساسي لكتابة هذا الكتاب لم يكن متعلقًا بالمجتمع بقدر ما كان متعلقًا بالمشاكل التي لاحظتها في حياتي الشخصية. في جوهره، أعتقد أن هذا النهج ليس خاصًا فقط بهذا الكتاب أو بي وحدي، بل هو نقطة الانطلاق المشتركة لكل من يرتبط بالتفكير ويسعى إلى كتابة الحياة من منظور فكري. فحتى أكثر الأحداث وضوحًا في المجتمع قد لا تُرى أحيانًا إلا عندما تؤثر بشكل مباشر على الشخص نفسه. أي إن كل فرد يبدأ بفهم الحياة من خلال مشاكله الشخصية، وبالتالي يُعرّف تلك المشاكل أولاً من خلال تجربته الخاصة. وبعد ذلك

الأجهزة باتت تحتل مركز حياتنا، والإنسان الذي يُفترض أنه هو من ينظم العلاقة معها يصبح مع الوقت - وهذا في رأيي يحدث خلال فترة قصيرة جدًا - يعيش في ظل هذه الأدوات، بل وتحت سيطرتها.

لذا، لم يكن هدفي في هذا الكتاب تقديم تحذير بقدر ما كان محاولة لإيقاظ نفسي، أو على الأقل إدراك طبيعة هذا الفخ الذي نحن مواجهون به، والعمل على كشف هذه الحقيقة المؤلمة التي باتت، بسبب غرقنا فيها، مخفية عن أنظارنا. أردت أن أشهد على ما تفعله هذه الحقيقة بنا، وكيف أنها تُحوّلنا إلى شيء آخر.

◀ كيف تنظرون إلى التكنولوجيا الحالية والبنية الاجتماعية أثناء تناولكم للإسقاط التكنولوجي للمستقبل؟ وكيف سيؤثر هذا الإسقاط على حياة الإنسان؟

لم تعد التكنولوجيا والمجتمع شيئين منفصلين. بل أصبح لدينا الآن ما يسمى بـ "المجتمع التكنولوجي". فكيف يمكننا فهم هذا المفهوم؟ الأمر بسيط: جميع الديناميكيات الحالية التي تُشكل المجتمع أصبحت بشكل أو بآخر على ارتباط وثيق مع الأجهزة التكنولوجية. نحن نلجأ إلى هذه الأجهزة عند التعبير عن مشاعرنا، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، ابتداءً من الأسرة وحتى أوسع نطاق في المجتمع. ولم نعد نستطيع تجنب هذا الأمر.

وبالتالي، فإن التحول يحدث بالفعل. ولكن سرعة هذا التحول تجعله غامضاً، فنحن نعيش هذا التغير الحاد دون أن ندركه. وعندما نتمكن من إدراكه،

يُصيبنا الذعر، فنحاول إيقاف هذا الانحدار، أو على الأقل إبطاءه. وبسبب التجذر العميق للمشكلة، فإننا نتجه بشكل طبيعي نحو حلول جذرية أيضاً. ولهذا بدأت العديد من البيانات والنداءات تظهر في العالم ضد هذه الثقافة التقنية. فالبعض يلجأ إلى الطبيعة، والبعض الآخر يتمسك بما هو طبيعي. ومن هنا، يمكن تفسير الارتفاع الملحوظ في التوجهات الروحية على المستوى العالمي. فالإنسان عندما يشعر بأنه بات مجرد آلة، يبدأ في إدراك أنه لا يمكن اختزاله إلى هذا الحد. وفي نهاية المطاف، نجد أنفسنا وقد بنتنا ضحايا لهذه التكنولوجيا القائمة على الشاشات، والتي تعمل على تفريغ علاقتنا بالمعرفة، والواقع، والحكمة، وحتى العبادة، من معانيها العميقة، وتجعلها تتجه نحو الأرقام والتعبيرات الظاهرية التي تحفز الاستعراض والمبالغة. ومن يستطيع إنكار أن هذا التحول يبدو أكثر إثارة للقلق من كونه أمراً مشجعاً؟ ذلك لأن التكنولوجيا تتسلل إلى حياتنا من خلال الابتكار والمرونة التي تجعلها عرضة للانحراف إلى مجالات غير مرغوبة في أي لحظة.

◀ كيف تقيمون تأثير التطورات التكنولوجية على البنية البيولوجية والعالم الروحي للإنسان؟

عندما نشترى جهازاً ما، فإننا لا نشترى فقط قطعة من المعدات، بل أيضاً نمط الحياة الجديد الذي يفرضه هذا الجهاز ويعدنا به. ومن هذا المنطلق، فإن لحظة الشراء هي في رأيي نقطة بداية ونهاية الإرادة والحرية الشخصية. يمكننا القول إن التكنولوجيا الحديثة، وخاصة في الآونة الأخيرة، لها تأثير تحويلي واضح على الجسد البشري أيضاً.

كل شخص يرى بوضوح ما الذي تحول إليه بسبب استخدامه للأجهزة، وإلى أين تقوده، وماذا أخذت منه في مقابل ما قدمته له. المشكلة ليست أننا لا نعرف المشكلة، بل هي مشكلة إرادة. يعني أن نحول ما نعرفه إلى عمل، ولكن بإخلاص واستقامة؛ فالقوة والصعوبة تكمن هنا.



لقد أصبح الإنسان أكثر ميلاً للجلوس لفترات طويلة، بل حتى أثناء التنقل من مكان إلى آخر يظل جالساً، يسافر جالساً، يصل إلى وجهته جالساً، ويدير حياته بأطراف أصابعه وهو جالس، محاولاً فهم العالم من خلال شاشات تعلق بها نظره. وهذا ما يمكن وصفه بنموذج "الإنسان المحمول جسدياً والمتحرك رغبةً".

والأخطر من ذلك أن أمراضاً جديدة ذات طابع تكنولوجي بدأت في الظهور. فالأجهزة تنتج حالةً من "انعدام الإحساس بالزمان والمكان". إذ يمكن للشخص أثناء انشغاله

بأحد الأجهزة أن يفقد إدراكه بمكان وجوده، أو وجهته، أو ما يقوم به، أو حتى إدراكه للوقت. وهذا بدوره يؤدي إلى فراغ بيولوجي في الحياة؛ أي تفريغ الزمان، والمكان، والعلاقات، والجسد، والذاكرة من معانيها ومحتواها. يمكننا وصف ذلك بحالة من "الخدر الواعي". وربما لهذا السبب نشعر بأن الوقت يمر بسرعة غير مسبوقة، والأيام تتبع بعضها البعض في رتابة رمادية مملة، وأصبح السفر إلى أماكن جديدة، أو التعرف على أشخاص جدد، لا يثير فينا الكثير من الحماس. لقد أصبحت التقنيات التي تضع كل شيء أمام أعيننا بضغطة زر واحدة تعمل أيضاً على تآكل الأخلاق والضمير. وهكذا يتشكل تدريجياً نموذج جديد من "الإنسان التكنولوجي" الذي لا يخجل، ولا يشعر بالاشمئزاز، ولا يتفاعل مع الأحداث، مما يجعل القيم الإنسانية أكثر عرضة للانقراض.

كيف تعتقدون أن تسارع تدفق المعلومات سيؤثر على البنية الاجتماعية؟

لا شك أن تدفق المعلومات أصبح أسرع من أي وقت مضى. ولكن ما يتسارع ويتزايد هنا ليس سوى بيانات فقط، وهذا ما ينبغي علينا ألا ننساه. فنحن نتحدث في الواقع عن مجرد تراكم من المعلومات. وبالطبع، يمكن تحويل هذا التراكم إلى حزمة من

المعرفة، كما يمكن استغلال هذه المعلومات لتحقيق مصالح معينة لفئات محددة. وهذا ما يتم فعله حقاً.

اليوم، ابتداءً من الإعلانات وحتى خطابات السياسيين، تستند العديد من الأمور إلى هذه البيانات وتتحرك وفقاً لها. لكن المشكلة تكمن في أن البيانات تفتقر إلى الحكمة. أي إن امتلاك الإنسان قدرًا كبيراً من المعلومات أو وصوله إليها بسرعة لا يضمن له أن يكون إنساناً صالحاً. ولا يمكننا الادعاء بأن "الأشخاص الجيدين هم في الغالب الأشخاص الذين يعرفون الكثير".

صحيح أن المعرفة الجيدة تشكل أساساً أن يصبح الإنسان صالحاً. لكننا لا نتحدث هنا عن آلية تصفية أو نظام فلتر يمكنه جعل المعرفة ذاتها جيدة. بل نحن نتحدث عن طوفان من المعلومات يبتلع كل شيء، ويزداد انتفاخاً مع كل ما يمر أمامه، ويجرف في طريقه كل ما يصادفه. لذلك أرى أن الأهم في هذه المرحلة ليس مجرد الوصول إلى المعلومات، بل امتلاك القدرة على فرز هذا الكم الهائل من البيانات، واستخراج المعلومات الصحيحة والمفيدة منها، مع التخلص مما هو زائد وغير ضروري.

هل تعتقدون أن فكرة "الإنسان المُتحوّل إلى أداة" التي تطرقت إليها في كتابكم تشير إلى عائق يمنع تطور الإنسان روحياً ومعنوياً؟



اليوم، تحول الإنسان إلى أداة للأدوات نفسها إلى حد كبير. فالأجهزة التي كانت في الماضي تشير إلى المعاني السامية أصبحت اليوم تُقدّم نفسها بديلاً عن هذه المعاني، وتسعى إلى خلق عالم بلا حدود، وبلا موت، وبلا إله. ومن هذه الزاوية، يمكنني القول إن للتقدم التكنولوجي بُعداً دينياً معيناً. وأود أن أسألكم: ألم يعد هناك شبه بين درويش كان يتأمل بذكر الله وهو ممسك بسُبحته في حالة خشوع، وبين شخص يتأمل هاتفه المحمول اليوم حتى يفقد نفسه في داخله؟

في رواية (شيك) للكاتبه عائشة شاسا، هناك دعوة لمن أصبح شبيهاً بالآلة تقول: "أيها الإنسان الذي يظن نفسه قرداً، أنت لست كذلك. لقد جئت من نسل آدم عليه السلام. وآدم له خالق". في الحقيقة، أي شخص يغرق كلياً في عالم التكنولوجيا قد ينسى بطريقة ما هويته، وأين كان وإلى أين يتجه. فالتكنولوجيا محمّلة بدلالات دنيوية، وهي موجهة نحو تشكيل العالم وفق منظور مادي بحت. وبطبيعة الحال، كان الإنسان دائماً يستخدم الأدوات. لكن اليوم، تحول الإنسان إلى أداة للأدوات نفسها إلى حد كبير. فالأجهزة التي كانت في الماضي تشير إلى المعاني السامية أصبحت اليوم تُقدّم نفسها بديلاً عن هذه المعاني، وتسعى إلى خلق عالم بلا حدود، وبلا موت، وبلا إله. ومن هذه الزاوية، يمكنني القول إن للتقدم التكنولوجي بُعداً دينياً معيناً. وأود أن أسألكم: ألم يعد هناك شبه بين درويش كان يتأمل بذكر الله وهو ممسك بسُبحته في حالة خشوع، وبين شخص يتأمل هاتفه المحمول اليوم حتى يفقد نفسه في داخله؟

هل يمكن اعتبار موضوع "الإنسان الذي نسي كلمته"، الذي تطرقت إليه في كتابكم، انعكاساً لمفهوم "الإنسان الذي نسي الحقيقة" في التصوف؟ وهل قوة التكنولوجيا تدفع الإنسان إلى نسيان جوهره؟

نعم، لقد قطعنا جميعاً عهداً. نحن جميعاً مكلفون بتذكر العبودية، وفناء هذه الدنيا، وحقيقة الموت، وحتمية الحساب، ليس في كل لحظة فحسب، بل بشكل متكرر دون أن نغفل عن ذلك.

لكن اليوم، بات لدينا منصات رقمية تتيح لنا أن نُظهر وكأننا نعيش إيماننا، حتى وإن كنا في الحقيقة لا نعيشه كما ينبغي. فبدلاً من تطبيق أقوال الحكماء والصالحين في حياتنا، أصبحنا نكتفي بمشاركة هذه الأقوال عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة عبر التقنيات المعتمدة على الشاشات. وهذا في حد ذاته ليس أمراً سيئاً تماماً. المشكلة تكمن في أننا نكتفي فقط بالمشاركة. إن نشر المعرفة وتقديمها كعرض فقط لا يكفي للتأثير أو لإيقاظ ما نسيه الإنسان في داخله.

هناك أيضاً رأي عام يقول: "التقنيات تتحسن أو تسوء حسب كيفية استخدامها". قد يكون هذا صحيحاً جزئياً. ومع ذلك، فإن هذا الرأي يغفل حقيقة أن التقنيات لها أكواد خاصة بها. من خلال هذه الأكواد، كل جهاز يقرر في الحقيقة كيفية استخدامه، أي إن الشركة المنتجة هي من تحدد كيفية استخدامه. بمعنى آخر، أنت لا تستخدم الهاتف بشاشة اللمس كما تشاء، بل وفقاً للقواعد التي وضعتها الشركة. وبالتالي، كل جهاز يتدخل في حياتك مقابل الخدمات التي يقدمها. وأنا بالطبع لا أغفل أن هذا التدخل يحمل بعض النعم. ومع ذلك، عندما ننظر إلى المرحلة النهائية للإنسانية، نرى أن الاستخدام المفرط للتكنولوجيا الذي تفرضه هذه التقنيات على نفسها، أدى إلى حدوث أزمات تتعلق بوجود الإنسان نفسه، وحواسه ومشاعره، وذاكرته، والوقت الذي يستخدمه، والمكان الحقيقي الذي يعيش فيه.



نعم، العثور على الجوهر يعني في بعض الأحيان التخلص من الزحام، يعني التخلص من القشور، يعني التخلص من الستائر. من الصعب على الإنسان المعاصر الذي يعيش بهذه الطريقة ويدفعه هذا الكم الهائل من التقنيات للعيش على السطح، أن يتذكر ما فقدته، أي أن يتذكر ما هو حقيقي، وأن يستمتع لما هو موجود في جوهره. ربما عليه أن يضع بعض المسافة بينه وبين الأجهزة، وأن يملأ الفراغات الناتجة عن هذه المسافة بأنشطة تشبع قلبه.

ما نعرفه إلى عمل، ولكن بإخلاص واستقامة؛ فالقوة والصعوبة تكمن هنا.

أنا شخصيًا أرى أن عصر الخصوصية والعودة إلى الجوهر لا مفر منه. بل أكثر من ذلك، ليس فقط لمجتمعاتنا، ولكن لمجتمعات الغرب أيضًا. لأن الإنسان المعاصر يشعر أنه لا يجد الراحة حتى مع الأدوات التي يعطيها معنى وعظمة، بل إنه يشعر أن هذه الأدوات تسلبه شخصيته.

الوقت ثمين جدًا بالنسبة للإنسان. ونحن نتحدث عن حياة واحدة فقط. من أجل أن يعيش هذه الحياة بما يليق بها، ويتحمل مسؤوليتها، ويملاها بمعنى، يحتاج حقًا إلى أن يحافظ على وقته، وبالتالي صحة جسده وروحه، ومشاعره، وحواسه بأكبر قدر ممكن من النقاء والصدق. وفي هذا السياق، على سبيل المثال، أعتقد أن الجفن في عالم مليء بالشاشات أصبح أكثر قيمة من أي وقت مضى. هذا العصر هو عصر يمكن فيه الحصول على الحرية ليس من خلال امتلاك الأشياء، ولكن من خلال رفض امتلاكها. نحن أحرار بقدر ما يمكننا تجنب الأشياء والتخلي عنها.

نشكرك على تخصيص وقتك لنا.

« في كتابك يعتبر "التقاطع في الطريق" موضوعًا مهمًا. إلى أي اتجاه يجب أن تسير الإنسانية في هذا التقاطع؟ وكيف يمكنها إعادة تشكيل علاقتها بالتكنولوجيا؟ »

الإنسان في الواقع في تقاطع طريق في كل لحظة. كل حدث يحدث لنا، وكل شخص نلتقي به، يضع أمامنا خيارين ويحثنا على اختيار أحد الطريقتين. في مسألة التكنولوجيا، نواجه الآن تقاطعًا جديدًا لم يكن جديدًا في جوهره، ولكنه أصبح واضحًا اليوم: هل نحن من نستخدمها أم هي من تستخدمنا؟ أود أن أؤكد على شيء: كل قرار نتخذه بشأن إنتاج التكنولوجيا واستخدامها في النهاية يتعلق بمصير الإنسان، وليس التكنولوجيا. بالنسبة للثقافة الرأسمالية العلمانية التنافسية، فإن التقدم مرتبط بالتطور التكنولوجي. بينما نحن، نطمح إلى الكمال من الداخل إلى الخارج، بدءًا من الذاكرة والضمير، والقيم. من هذا المنطلق، ليس من شأني أن أُلقي موعظة، لأن كل شخص يشهد على نفسه. كل شخص يرى بوضوح ما الذي تحول إليه بسبب استخدامه للأجهزة، وإلى أين تقوده، وماذا أخذت منه في مقابل ما قدمته له. المشكلة ليست أننا لا نعرف المشكلة، بل هي مشكلة إرادة. يعني أن نحول

اركض ما دمت تستطيع

الشهود معنا؟ هو يراقبنا، بل لا يكتفي بالمراقبة، بل يمدّنا بالعون، ويهدينا السبيل. فما الذي يمنعنا من أن يزداد شوقنا؟ ولماذا ننسى أننا مراقبون؟ وكيف نخدعنا لعبة الدنيا الجذابة؟

إننا نستهلك حماسنا في مسرح الدنيا. والدنيا في حقيقتها ساحة لعب كبيرة. ألم يقل الله تعالى في كتابه إن الحياة الدنيا ليست إلا لعبًا ولهوًا؟ ونحن - في حضرة خالقنا، على المسرح الحقيقي، أمام المتفرج الأعظم - نحن الأبطال الرئيسيون، علينا أن نضاعف ركضنا. ما دمنا أقوياء، وأرجلنا تحملنا، وأعيننا مبصرة، ونستطيع أن نواصل الليل بالنهار، فلنركض.

لنركض نحو الخير، نحو عمل صالح، نحو دعاء، نحو مسح رأس يتيم، نحو تضميد قلب منكسر. لنركض لننال دعاء أمهاتنا، لنصلح القلوب، لنلتقط بريق النور في عيون الأطفال. ولنكن في ذلك بأقصى طاقتنا، بكل وجودنا، وبكل إخلاصنا.

كنا نجلس مع الأصدقاء في مقهى مسجد نشرب الشاي، وإذ بطفلين يركضان في الشارع. كان أحدهما يطارد الآخر، يتمازحان ويلعبان. الغبار المتناثر من أحذيتهما كان يمتزج بضحكاتهما. وبعد قليل لفتت ألعاب الأطفال انتباهنا جميعًا. كانوا يمرحون بفرح وحماس لدرجة أننا توقفنا عن الكلام وركضنا فقط: هل سيتمكن أحدهما من الإمساك بالآخر أم لا؟ صرنا نتابع لعبهم بسرور.

في تلك اللحظة أدرك الطفلان أننا نراقبهما، فانطلقا بسرعة أكبر. نظراتنا بعثت فيهما الحماسة، فصارا يركضان أسرع، يخطوان خطوات أوسع، ويضحكان بصدق أكثر. ذلك لأن مراقبة الآخرين لهما منحتهما حماسًا إضافيًا.

والحقيقة أننا نحن أيضًا كذلك. حين يراقبنا أحد يزداد حماسنا، وننشط، وترتفع طاقتنا. لكن لماذا - مع أننا نعلم أن الله يراقبنا في كل لحظة - لا يزداد حماسنا؟ لماذا لا نضاعف سعينا؟ أليس أعظم



"فلنجر معًا... ما دام في الإمكان، وما دام في القلب نبض، وفي الصدر نفس، وفي الروح أمل، وفي الجسد قوة؛ فلنجر... سيأتي يوم لا يبقى لنا فيه طاقة لفعل شيء من هذا، ولكن... ذلك اليوم ليس اليوم. إن كنت تقرأ هذه الكلمات، فأنت ما زلت حيًا. واليوم هو يوم الركض... اركض ما دمت قادرًا على الركض."

٤. وفراغك قبل شغلك

الفراغ كنز إذا لم يُستثمر، ضاع في اللهو أو التشتت. وكلما كبر الإنسان، ازدادت مسؤولياته، وضاق وقته، وصعب عليه التركيز.

٥. وحياتك قبل موتك

هذه هي أعظم الفرص. الحياة كلها فرصة واحدة طويلة، تنتهي بموت لا يُمهّل، ولا يُؤجّل. وبعده يُغلق باب العمل، ويبدأ الحساب.

فلنشكر الله إذ نستطيع أن نركض اليوم. إن كانت لنا طاقة، ووقت، وإمكانات، فهذه أعظم أرصدتنا. فلنجعل ركضنا يشتعل.

لُيعجب بنا الهواء في ركضنا، وليلتفت إلينا الناس منبهرين. ولكن الأهم ألا ننسى من هو المراقب الحقيقي لنا. فلنركض لله، ولنكثر مما نستطيع عمله.

وقد قال ربنا في القرآن الكريم:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران، ١٣٣]

فما الذي يمنعنا من الركض؟

هيا نركض معًا. ما دمنا نملك الإمكانيات، والقلوب، والأنفاس، والآمال، والقوة، فلنركض. سيأتي يوم لن تبقى لنا طاقة لفعل شيء. ولكن اليوم ليس ذلك اليوم. ما دمت تقرأ هذه السطور فأنت حي. واليوم هو يوم الركض. اركض ما دمت تستطيع الركض.

وللشيخ بهلول دانا رحمه الله مثال جميل يسأل فيه نفسه ويجيب: "ما الذي يوجد تحت الأرض أكثر من أي شيء آخر؟" فيجيب: "آهات الموتى ونداماتهم: يا ليت، يا حسرة، يا أسفاه". إذن حتى لا نتحسر، لا بد أن نركض. لا بد أن نكون مع أهل الله، في طريق الله، ساعين لرضاه.

ويقول سيد الخلق ﷺ: "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" [البخاري، الرقاق، ٣؛ الترمذي، الزهد، ٢٥].

هذا الحديث دعوة للاستيقاظ من الغفلة، واستثمار الأوقات والقدرات قبل أن تزول. كل واحدة من هذه الخمس هي فرصة ثمينة، لكنها لا تدوم، ويأتي بعدها ما يحد من طاقتنا أو يحرمنا منها.

١. شبابك قبل هرمك

الشباب هو مرحلة القوة والحيوية، وهو أنسب وقت للبذل في العلم، والعبادة، والعمل الصالح. فإذا ضاع في اللهو والتسويق، ندم صاحبه عند الكبر.

٢. وصحتك قبل سقمك

الصحة لا تُقدَّر بثمن. من يتمتع بها يمكنه أن يصلي، ويصوم، ويعمل، ويتحرك. أما إذا جاء المرض، فإن كثيرًا من أبواب الخير تُغلق أو تصعب. ٣. وغناك قبل فقرك

المال أداة، وليس هدفًا. وبالغنى يستطيع الإنسان أن يُنقذ، ويتصدق، ويعطي. لكن الفقر يُقيده، ويشغله بهموه.



لا طريقة صوفية بلا شريعة

من أراد أن يكون من أهل الجنة، فعليه أن يعيش حياة متوافقة مع الشريعة. فالشريعة أولاً، ثم الطريقة. الطريقة لا تقوم بدون الشريعة. فيجب أن يحافظ على صلاته الخمس، ويؤديها تمام الأداء وفق أحكامها، ويعيش حياته ملتزماً بجميع تعاليم الدين، ويتبعد بشدة عن المحرمات.

• هل التقيت بسامي أفندي رحمه الله؟

في عام ١٩٧٦، تلقيت درساً معنوياً من الدكتور دورسون في مدينة فتحية. وفي عام ١٩٧٧، بدأت العمل مساعداً في المعهد العالي للدراسات الإسلامية في إزمير. كنت أذهب من حين لآخر إلى إسطنبول لزيارة أستاذي المشرف على الرسالة المرحوم "بكير طوبال أوغلو". وكنت أزور خلال هذه الرحلات أستاذي "أمين سراج" أيضاً. في إحدى المرات، نويت أن أزور سامي أفندي. كان صهره "عمر كيراز أوغلو" أستاذنا. ذهبت ذات يوم إلى جامع "زهني باشا" في "أرن كوي". فقلت للأستاذ عمر: "أريد زيارة سامي أفندي" فرد قائلاً: "لا زيارات" وكان -رحمه الله- جدياً لا يسمح لكل أحد بلقاء الشيخ.

في ذلك الوقت، حزنت وغضبت قليلاً، لكنني بعد ذلك تفهمت الأمر. فقد كان عدد الراغبين في زيارة سامي أفندي قد كثر، وكان هناك ضغط شديد على المتدينين، وكان الزعماء الدينيون تحت رقابة صارمة.

• هل كان لديكم ميل للتصوف قبل أن تتعرفوا على

الطريق الروحي؟

لم يكن في محيطي القريب أحد من أهل الطريقة. لكنني كنت أعلم أن أستاذي المرحوم "أمين سراج" كان من أتباع "سامي أفندي". ذات مرة، روى لي رؤيا رآها وقال: "رأيت في منامي سامي أفندي وخلفه جمع غفير". ثم فسرنا قائلاً: "اليوم لا يرى خلف سامي أفندي جمع كبير ظاهراً، لكن يبدو أن الإخوة المنتسبين إليه مخلصون وذو جودة روحية".

كنا معجبين ليس فقط بعلم أستاذي أمين سراج، بل بحاله أيضاً. كان من أهل التقوى، متواضعاً، صاحب أدب وحياء. كنا نحبه كثيراً. ربما أثر في روحياً وجعلني أميل إلى الطريق الروحي. كنت أقول لنفسني من وقت لآخر: "ليتني أجد شيخاً كاملاً وأتلقى منه درساً روحياً...". لم أكن أعلم ما هو الدرس بالضبط، لكن كنت أتمنى أن أكون في تربيته.



كثيرًا. لم يجد أبدًا عن هذا الطريق قيد شعرة. في كل زمن، كان مخلصًا تمامًا للشيخ القائم في ذلك العصر، سامي أفندي، ثم موسى أفندي، ثم عثمان أفندي، وكان خادمًا وقيًا لهم.

عندما هاجر سامي أفندي إلى المدينة المنورة عام ١٩٨٠، أغلق الدكتور دورسون مختبر التحاليل الطبية الذي كان يملكه في "إيكنجي بايلر" وهاجر هو أيضًا إلى المدينة. وكما تعلمون، توفي الشيخ سامي أفندي في المدينة عام ١٩٨٤ ودُفن في البقيع. وبعد مدة، عاد الأخ دورسون إلى إزمير. كان من أهل العبادة، لا يُهمَل صيام الأيام الفاضلة، ولا الاثنين والخميس، وكان يواظب على صلاة السنن والنوافل، يصلي ركعتين بعد كل وضوء.

عندما كنا نزوره في بيته، لم يكن يجلس ويتحدث في أمور الدنيا، بل إما يقرأ كتابًا هو بنفسه، أو يجلس أحد الإخوة للقراءة.

كنا نرافقه إلى ولايات مختلفة لمتابعة دروس الإخوة. وأثناء متابعته، كان يطلب مني أن ألقى على الإخوة موعظة. كنت آخذ كتبًا صغيرة من مؤلفات الشيخ سامي أو موسى أفندي، وأقرأ منها. وكان المستمعون يفرحون ويقولون: "ما أجمل هذا الكتاب، وما أروع هذه المعلومات..."

ثم يسألون: "أين يمكننا أن نحصل على هذا الكتاب؟" فأهديهم نسخًا منه.

شرحت الموقف لأستاذي أمين سراج. فبادر قائلاً: "تعال إلى جامع زهني باشا بعد صلاة العصر يوم الخميس". فأتضح أن بعض الخاصة من الناس كانوا يزورونه في بيته بعد صلاة العصر أيام الخميس، لأنه كان لا يستطيع الخروج من البيت حينها.

ذهبت إلى الجامع، وصلينا العصر، ثم انطلقوا خمسة أو ستة أشخاص إلى البيت برفقة عمر كيراز أوغلو، فتبعتهم. وفي الطريق، التفت عمر كيراز أوغلو ورآني. فقال: "إلى أين؟" فسكتُ.

فقال أمين سراج: "هذا تلميذي، دعه يزور الشيخ". فقال: "حسنًا".

وهكذا دخلنا بيت الشيخ. وهناك بدأ عمر كيراز أوغلو حديثًا بقراءة الأحاديث. وكان سامي أفندي جالسًا في ركن من الغرفة. جلس الجميع على التوالي واستمعوا إلى الحديث، ثم قَبَلْنَا يده. كان هذا هو لقاء الوحيد وجهًا لوجه معه. لقد كان شرفًا كبيرًا لي، وفرحت كثيرًا، الحمد لله.

• هل يمكنكم أن تحدثونا عن ذكرياتكم مع الدكتور دورسون؟

الدكتور دورسون كان من كبارنا الذين نجبهم كثيرًا ونقدّرهم. في ذلك الوقت كان نائبًا عن الشيخ سامي أفندي. وفي زمن الشيخ موسى أفندي، كان نائبًا له، وكذلك في زمن الشيخ عثمان أفندي.

كان كل من يعرف الأخ دورسون يحبه. نحن كذلك كنا نحبه كثيرًا، لكن كانت علاقتنا به أكثر قربًا من الآخرين. كنا نقوم برحلات قصيرة وطويلة معه، وكان الجلوس معه يمنح القلب سكينًا.

يا سيدي، أحوال الأولياء مختلفة... لو كان للإنسان همٌّ أو حزن أو ألم، فإن مجرد الجلوس في حضرة وليٍّ من أولياء الله كفيْل بأن يزيل كل ذلك. وقد جربنا هذا طيلة سنوات مع الأخ دورسون.

كان شخصًا فريدًا، ذا قيمة عظيمة، استفدنا منه



نعم. في السنة التي تقاعدت فيها عام ٢٠٠٧، قمنا بأداء عمرة رمضان مع الأخ دورسون. بقينا معاً ٢٠ يوماً في مكة، و ١٠ أيام في المدينة. وفي العام التالي ٢٠٠٨ ذهبنا مرة أخرى معاً، مكثنا ٢٠ يوماً في مكة، ثم ذهبنا إلى المدينة. وفي أحد الأيام قال لي أحد الإخوة الذين كانوا يهتمون به: "يا شيخ، الأخ دورسون مريض، ونقلناه إلى المستشفى". فأسرعنا إلى هناك. الله ييسر أمور أوليائه، وفعلاً صادفنا طبيباً تركياً هناك، خريج ثانوية الأئمة والخطباء. فسألناه عن حاله، فقال: "قلبه يعمل ببطء". فأدخل قسم العناية المركزة، وكان يُسمح بزيارة المرضى في العناية المركزة لمدة ساعة واحدة فقط في اليوم.

زرناه في اليوم التالي. وعندما ذهبنا في اليوم الذي بعده، وجدنا سريريه فارغاً. فقال لنا مريض آخر كان يرقد في نفس الغرفة: "صاحبكم تُوفي".

وقد وُفِّقت أنا الفقير بفضل الله، في متابعة المحادثات الرسمية مع تركيا والإجراءات اللازمة لدفنه هناك، والحمد لله. وكان أستاذنا في تلك الأثناء في المدينة المنورة، فأخبر من حوله قائلاً: "الأخ دورسون تُوفي، وسيُدفن بعد صلاة الفجر إن شاء الله". وقد علمت بذلك لاحقاً. عادةً لا تنتهي هذه الإجراءات بهذه السرعة، فقد استمرت المعاملات الرسمية حتى منتصف الليل. وبعد الانتهاء منها، ذهبت إلى الفندق وتوضأت، وسألت عن مكان الغسل، ولما وصلت، علمت أن إجراءات الغسل قد اكتملت، وقد أرسل إلى المسجد النبوي.

أدينا عليه صلاة الجنازة، وبدعم من أستاذنا وجماعة كبيرة من إخواننا، تم دفنه في جنة البقيع.

توفي أخونا دورسون رحمه الله في ليلة الجمعة، التي سبقت ليلة القدر، في تلك الأرض المباركة. نسأل الله أن يرحمه، ويجعل مقامه في الجنة، ودرجته عالية، وأن يجمعنا به في جنته.

• شيخنا، هل يمكن أن تحدثونا عن ذكرياتكم مع شيخنا موسى أفندي؟

كنت أقول في نفسي: هذه الحلاوة ليست فقط من الكتاب، بل من البركة الموجودة في حضور الأخ دورسون. لو قرأت كتاباً آخر في غيابه، لما نال هذا القبول.

كنا نقوم برحلات معه، ولم يكن أحد منا يشعر بخوف أو قلق من بلاء أو مصيبة في الطريق. كانت الرحلات معه ممتعة جداً.

كان صهري المرحوم إسماعيل يوروك أوغلو من إخواننا، وكان أحياناً ينقل الأخ دورسون بسيارته من إزمير إلى إسطنبول.

يقول: "في أحد الأيام كنا في الطريق فدخلنا رادار السرعة. أوقفنا الشرطة وطلبت الرخصة. أعطيت الرخصة، لكن الشرطي نظر إلى الأخ دورسون وسأل: هل هذا والدك؟ فقلت: لا، لكنه بمنزلة والدي. فأعاد الرخصة دون أن ينظر فيها وقال: أنا بحاجة شديدة إلى الدعاء. ادع لي، وكونوا حذرين، لا تسرعوا مرة أخرى". فالأنوار الظاهرة على وجه الأخ دورسون كانت تُشعر كل من يراه بأنه رجل صالح، وهذه هي حال أولياء الله.

• هل كنتم بجانبه عند وفاته؟

لقد حضرنا الكثير من مجالس الشيخ موسى أفندي، والحمد لله. كان موسى أفندي في حياة الشيخ سامي أفندي بمثابة يده اليمنى، والجميع يعلم ذلك. وكان يأتي إلى إزمير بتكليف من سامي أفندي لمراجعة الدروس، فكنّا نذهب إليه. وكان الحاج أحمد ديجان عمّا قد خصص شقة خاصة للضيوف، وكان موسى أفندي ينزل فيها ضيفاً.

آنذاك لم يكن عدد الإخوان كبيراً، فكان الجميع يأتي إلى هذا المكان، وكان موسى أفندي يراجع الدروس هناك. كما حضرنا مجالسه في إسطنبول وبورصة. وفي إحدى المجالس في إزمير، طلب مني الأخ دورسون أن أقرأ عشر آيات شريفة، فقرأت، وكانت ذكرى جميلة لي. موسى أفندي كان رجلاً عظيماً. لو سُئلت: "كيف يكون الإنسان في ذكر دائم؟"، لقلت: "انظروا إلى موسى أفندي".

كنت أشعر أنه في ذكر دائم من جلوسه، وقيامه، وحركته، وحتى من تحريك شفثيه، وكل تصرفاته.

• شيخنا، ما نصائحكم لإخواننا السائرين في الطريق الروحي؟

الحمد لله، طريقنا هو طريق أهل السنة. وأهل السنة هم أتباع القرآن والسنة.

في بلادنا يوجد العديد من الشيوخ والمرشدين، ولكن بعضهم لا يعرف القرآن، ولا السنة، ولا حتى الفقه البسيط. فهل يُعقل أن يكون شيخاً من لا يعرف الدين؟ يجب على الشيخ أن يكون عالماً بالدين والقرآن والسنة. ربما لا يستطيع الإحاطة الكاملة، ولكن على الأقل يجب أن يعرف القدر الكافي الذي يفيد ويفيد من حوله.

من هذا المنطلق، طريقنا طريق جميل. مشايخنا منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم كلهم مشايخ كاملون. سامي أفندي من كبار أولياء الله. وموسى أفندي، وعثمان أفندي كذلك. نصائحهم مستندة إلى القرآن والسنة. ونسعى جاهدين للاستفادة منها، والحمد لله.

من أراد أن يكون من أهل الجنة، فعليه أن يعيش حياة متوافقة مع الشريعة. فالشريعة أولاً، ثم الطريقة. الطريقة لا تقوم بدون الشريعة. فيجب أن يحافظ على صلاته الخمس، ويؤديها تمام الأداء وفق أحكامها، ويعيش حياته ملتزماً بجميع تعاليم الدين، ويبتعد بشدة عن المحرمات.

ثم إذا أخذ ورداً وذكرًا من شيخ كامل على منهج أهل السنة، وطبقه كما أمر به، بانتظام واستمرارية، فإنه بإذن الله يترقى روحياً ويكون من أهل الجنة. طريقنا ليس فيه انحراف. طريقنا جميل ومضيء. أقول أحياناً للإخوة: "يا إخوة، هذه الأوراد التي نأخذها عظيمة جداً. لو لم نأخذها من شيخ كامل، هل كنا سنستغفر ١١١ مرة في اليوم؟ هل كنا سنصلي على النبي؟ هل كنا سنقول لا إله إلا الله؟ لكننا الآن نؤديها كواجب، فنبذل جهداً: مرة، مرتين، ثلاث، خمس، عشر، مئة، ألف... ثم يعتاد الجسد والنفس والإنسان عليها، فتصبح جزءاً من الحياة".

لذلك، أنصح الجميع: إن أرادوا مستقبلاً معنوياً جميلاً، فليستفيدوا من هذا الطريق المبارك، وليعملوا على تهذيب أنفسهم معنوياً.

• شيخنا، نختم هذه الجلسات دائماً بدعاء، ونرجو منكم الدعاء لنا.

نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا الإيمان الكامل، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وأن يملأ قلوبنا بمعرفته، ومحبه، وعشقه، ورضاه، وأن يوفقنا للقيام بالأعمال الصالحة التي يرضى بها، وأن يحفظنا من كل قضاء وقدر وبلاء وشر، من شر الشيطان، ومن شر أنفسنا، ومن شر الناس السيئين، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يعين جميع إخواننا المسلمين، وأن يمنحهم الصحة والعافية والطمأنينة، وأن يرزقنا حياة ملتزمة بتعاليم الدين حتى آخر نفس، وأن يرزقنا النطق بالشهادة عند الموت، وأن يرزقنا الجنة العليا، وأن يرزقنا حسن الختام.

آمين.

اضطراب فرط الحركة



صحة

الأستاذ المساعد د. فرات أردوغان

وتشتت الانتباه

في أبحاث مختلفة أجريت في بلدان متعددة، يُقال إن نسبة ٥-٧٪ من السكان يعانون من اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه. في تركيا، الوضع أكثر تعقيداً حيث تُذكر أرقام تتراوح بين ١٠-١٢٪. وعندما ننظر إلى الأمر من منظور فلسفي، يقول بعضهم: "لا يمكن اعتبار حالة تظهر في ١٥٪ من المجتمع مرضاً، بل يجب قبولها كتنوع طبيعي"، وهذا القول ليس بعيداً عن الصواب..



أصبح الناس يفضلون تسميته "تشتت الانتباه" بدلاً من "نقص الانتباه"، وهو مصطلح أكثر منطقية، ويُفضل بعض المختصين استخدامه. الاسم الرسمي للتشخيص وُضع في عام ١٩٨٧، ويشمل أعراضاً تستمر غالباً مدى الحياة.

العناصر الأساسية للاضطراب هي: عدم الانتباه، وفرط الحركة، والنسيان، وفقدان التحكم في الاستجابات للمثيرات. هناك تفاصيل تقنية كثيرة، ولكن لمن يشعر أن هذه الأعراض موجودة لديه، يجب أن يكون التشخيص وفقاً للشروط التالية:

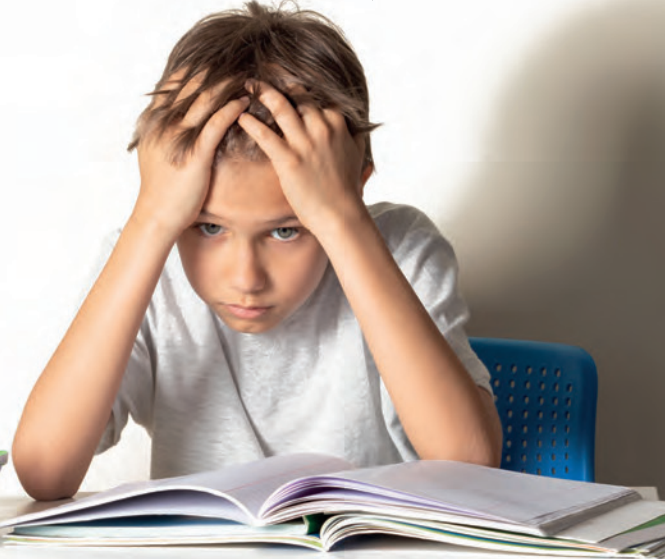
- يجب أن تظهر الأعراض قبل سن ١٢ عاماً.
- يجب أن تستمر لمدة لا تقل عن ٦ أشهر.
- يجب أن تظهر في مكانين على الأقل (المدرسة، الحديقة، أو البيت).

في مجال الطب النفسي، توجد اتجاهات حديثة تربط هذه الأعراض بمنطقة في الدماغ تُعرف بـ "القشرة الجبهية الأمامية" (Prefrontal Cortex) والتي تُعتبر مدير الدماغ أو قائد الأوركسترا، ويُعتقد أن الاضطراب ناتج عن خلل في هذه المنطقة. وراثياً، نسبة انتقال المرض عالية جداً (بين ٧٠٪ إلى ٩٠٪)، حيث يعاني معظم الأطفال من نفس الاضطراب في آبائهم أو أمهاتهم.

وفقاً لهذه الإحصائيات، ينبغي أن يُشخص ما لا يقل عن مليون ونصف المليون طفل في بلادنا بهذا الاضطراب سنوياً، لكن عند النظر إلى أعداد المرضى الذين يتلقون العلاج، يظهر أن واحداً فقط من كل عشرين يتم تشخيصه فعلياً.

ونؤكد أننا نتحدث عن الأطفال، لكن في أجزاء لاحقة من المقال سنتعرف على أن هذا الاضطراب يؤثر على جميع الأعمار. يبدأ التشخيص في الطفولة، ولكن المرضى أنفسهم يقولون أحياناً، بنبرة مزاح أو تهكم، "لا تحرمني"؛ فكلمة "نقص" قد تكون مؤلمة، فكل شخص وكل شيء له قيمته، ونسأل الله ألا يُظهر نقص أحد، لكن بعض النواقص قد تكون مصدر معاناة كبيرة.

قد لا يخطر على بال الكثيرين، لكنه من أعظم النواقص التي تسبب ألماً: "الانتباه". في الفترة الأخيرة،



• ماذا نفعل لهؤلاء الأصدقاء؟

أولاً، يجب تشخيص المرض بدقة على يد أطباء متخصصين (وحتى الأطباء المختصين لا يتفقون دائماً على التشخيص الدقيق).

إذا وصف الطبيب أدوية، يجب استخدامها. هذه الأدوية ليست مخدرة، بل على العكس، لا تسبب الإدمان. والطب النفسي ليس مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على جيلنا.

العلاج يبدو مجرد تخفيف للأعراض، لكنه في الغالب يحقق شفاءً تاماً. يجب التفكير فيه كعلاج لضغط الدم وليس كمسكن للألم.

لا توجد بيانات علمية قاطعة، لكن الملاحظات العامة تشير إلى أن ثلث المرضى يشعرون بأنهم "شفيوا".

في إنجلترا، أجريت دراسة حول سائقي الشاحنات الذين يعانون من السلوك الاندفاعي، ووجد الباحثون أن حجم مراكز التنقل في الدماغ هو السبب؛ يشبه الأمر مرضاً مهنياً... الاندفاع مرتبط بعدم القدرة على التفكير في العواقب. غالباً ما يعجز هؤلاء المرضى عن انتظار الدور. في اللعب، مثلاً، يقطعون دور الآخرين دائماً وينتهي بهم المطاف بالطرد من اللعبة.

في الطفولة أو في البيت، قد يُسامح مع هذه السلوكيات، لكن بمجرد دخول المجتمع، تتكاثر الشكاوى. مجالس الانضباط في المدارس تكون من الأماكن الطبيعية لهؤلاء الأطفال.

وعندما يُضاف إلى ذلك ضعف الأداء الأكاديمي، تزداد المشاكل كثيراً.

• الحالات النفسية المصاحبة

يُصاحب هذا الاضطراب في كثير من الأحيان مشكلات نفسية أخرى منها:

- اضطراب المعارضة والعناد.
- الاكتئاب.
- اضطرابات التعلم.

يجب أن نعلم جيداً أن اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه ليس مشكلة أخلاقية، ولا مشكلة في الشخصية، ولا يعبر عن الإهمال أو قلة الاهتمام من قبل الطفل.

• وصف آخر للمريض

يوصف هؤلاء الأشخاص بأنهم مثل من يرغب في قيادة سيارة فيراري بسرعة، لكنهم يقودون في طريق ضيق ووعر. والنتيجة: حوادث يومية.

الاضطراب يتمثل في عدم القدرة على إكمال عمل واحد قبل الانتقال لآخر، أو التشتت بين عدة أمور.

لضمان أن يكمل الشخص المصاب عمله، يجب مراقبته عن كثب.

• هل يمكن أن يكون التركيز الزائد علامة؟

نعم، هناك أيضاً ما يُسمى "التركيز المفرط" على شيء ما، وهي حالة أخرى من أعراض المرض.

الانتباه يعني تركيز الفكر والعاطفة على موضوع واحد. مدة الانتباه تقاس تقريباً بعمر الإنسان مضروباً في ٢-٣ دقائق.



على سبيل المثال، طالب في الصف الأول الابتدائي بعمر ٦ سنوات لا يستطيع الجلوس أكثر من ١٨ دقيقة، فإذا أُجبر على الجلوس ٤٥ دقيقة ثم سُكي في تشتت انتباهه، فهذا ليس تشخيصاً صحيحاً.

هؤلاء المرضى يفضلون الأعمال قصيرة المدى التي ترى نتائجها بسرعة. على سبيل المثال، إذا طلبت منهم الدراسة نصف ساعة يومياً مع وعد بمكافأة كبيرة بعد شهر، غالباً ما يفشلون.

• ماذا لو لم نستخدم الدواء؟

الأمر سستير كما هي، لكن بطريقة مؤذية للعقل والجسد، وسيتهيئ العمر دون تحقيق الأهداف.

في بعض المجموعات، يظهر المرضى قدرة على الانضباط مؤقتاً عند مواجهة ظروف صارمة.



من مذكرات متقاعد
أكرم بكتاش

ضع نظارتك وانظر جيداً



أصدقائي المتقاعدين الأعزاء!

بينما كنت على وشك الخروج للصلاة، رن جرس الباب. فتحتُ الباب، فكان الجار في الطابق العلوي، السيد جودت، يحمل كوباً فيه قليل من زيت الزيتون في قاعه. وقبل أن يُلقي السلام، مدَّ الكوب نحوي وقال:

- انظر، هل هذا زيت زيتون أصلي؟

- لماذا لا تنظر بنفسك؟

- نظرت، لكنني لم أفهم.

- إذا لم تفهم، فكلِّه وانتهى الأمر، لماذا تحاول أن

تفهم؟

- سمعت أن هناك زيت زيتون مزيف في السوق،

فأحضرتُ لك لأنك تفهم في هذه الأمور.

يبدو أن كل من لديه مشكلة يأتي إليّ، فقد انتشرت سمعتي بذلك... الجميع يعتقد أنني أعرف كل شيء! وإذا قلت "لا أعرف"، فسوف يقولون لي كما قالوا لجحا:

- اخجل من عمامتك!

ليس لديّ عمامة، لكن سمعتي معروفة، ولذلك رفعتُ كوب الزيت، نظرتُ إلى لونه، لم أفهم شيئاً. شممتُه، لم أفهم شيئاً. اضطررتُ لأخذ رشفة منه، فاحترق فمي وبدأ أنفي يؤلمني:

- هذا زيت زيتون مزيف!

شحب وجه السيد جودت، وتغيّر تعبيره، واضطربت معنوياته:

- لكن البائع أقسم أنه أصلي...



- إذن، يبدو أن القسم أيضًا كان مزيفًا.

لم يقتنع جودت بسهولة بأن زيت الزيتون مزيف. كان يتوقع مني أن أقول إنه أصلي. وعندما لم يحصل على إجابة إيجابية، قال:

- هل أنت متأكد؟

يعني أنه بدأ يشك في كلامي. أيًا كان ما سأقوله، لن يصدقني، بل سيتحدث عني من وراء ظهري. ولو قلت له إنه أصلي لإراحته، فسأصبح أنا المحتال هذه المرة. وبينما كان جودت يهجم بالمغادرة، لم يكن يتحدث عن البائع الذي باعه الزيت المزيف، بل كان ينظر إليّ وكأنه يقول لي:

- وهل هناك قسم مزيف أيضًا؟



بينما كنا جالسين في مقهى "أحمد" بعد الصلاة، عاد الحديث مرة أخرى إلى الأطعمة المغشوشة.

قال صديقنا رضا:

- كيف يكون هؤلاء الناس عديمي الضمير؟ هل يُعقل أن يضيفوا مسحوق الحديد إلى الفلفل الأسود ليزيد وزنه؟

- هل يفعلون ذلك حقًا؟

- سمعت في الأخبار، وهناك المزيد من الحيل... في هذه الأثناء، وضع أحمد بيك كؤوس الشاي أمامنا قائلاً:

- هذا الشاي بلون دم الأرنب!

لا أعرف كيف يكون لون دم الأرنب، لكن لون الشاي كان حقًا جذابًا يفتح الشهية. أشار رضا إلى كأسه وسأل:

- هل يوجد صبغة في هذا الشاي، أحمد بيك؟

غضب أحمد بيك قليلًا وقال:

- لا تشربه إذن، حتى لا تصبغ!

- لا تغضب، أحمد بيك، لقد سمعت ذلك فقط...

- ممن سمعته؟

كان الجدال يوشك أن يشتد، لكن صديقنا نجدت وضع جرة غسل على الطاولة وسأل:

- يا أصدقاء، هل هذا الغسل أصلي؟

فتح رضا الغطاء وقال:

- سأعرف الآن، هل هناك عود ثقاب؟

- هل تكفي الولاعة؟

نظر رضا بحدة:

- لا، سأغمس عود الثقاب في الغسل.

ناولنا أحدهم عود ثقاب، وكنا جميعًا متحمسين لمعرفة كيف يتم الكشف عن الغسل المزيف. لكن فجأة، صرخ شاب من بيننا:

- ذلك الغسل مزيف يا شباب!

- كيف عرفت؟

- اشتراه والدي من أمام المسجد... الجرة نفسها...

- الجرار قد تتشابه...

- العلامة التجارية نفسها...

غمس رضا عود الثقاب في الغسل ولعقه، ثم قال:

- نعم، إنه مزيف!

صاح نجدت بغضب:

- اللعنة عليهم! وأطلق شتائم لم أسمعها من قبل.

قال جمال الدين مازحًا:

- دعونا نغمس عود الثقاب في هذا الشاي أيضًا.

ضحكنا جميعًا، ولحسن الحظ أن أحمد بيك لم يكن

هناك حينها!



بينما كنت جالسًا في المنزل في اليوم التالي، طُرق الباب. كانت زوجتي عائدة من السوق. أخذتُ منها الأكياس، كان أحدها طريًا جدًا.

- ما هذا؟

- معجون الطماطم... اشتريته من بائع المخللات،

ثلاثة كيلوغرامات...

- أليس كثيرًا؟

- انظر إلى لونه، إنه أحمر مثل الرمان...

نظرت إليه:

- لقد أضافوا صبغة!

غضبت زوجتي كما غضب أحمد بيك:

- لا تجعلني أفقد أعصابي! تجد عيبًا في كل شيء
أشتره!

- لا تغضبي، يا عزيزتي، فالأطعمة تُغش كثيرًا...

- ماذا يفعلون؟

- يعني أنهم يخلطونها بمواد أخرى، فالكثير من
الشركات تفعل ذلك...

- هذا ليس مصنعًا، إنه بائع مخلات!

وحتى لا أغضبها أكثر، تراجعت قليلًا:

- بائع مخلات؟ ظننتها شركة!

- إذن، لا نتحدث دون أن نفهم!

لم أقل شيئًا بعد ذلك. كان الأذان على وشك أن يُرفع.

- سأخرج للصلاة.

- استغفر كثيرًا، ولا تتهم الناس عبثًا بخلط الألوان!

- حسنًا، يا عزيزتي.



الزمن يمضي، لقد تقدم بنا العمر. لم أعد أستطيع
المشي بسرعة كما في السابق. إن لم أخرج مبكرًا، فلن
ألحق بالصلاة. مع كل خطوة أخطوها، يصدر صوت
"طق" من ركبتي، وأشعر بألم. نصحني أحد الأصدقاء
بحساء الكوارع قائلاً:



- أتناول حساء الكوارع يوميًا، وهو مفيد جدًا.

أنا وزوجتي نحب حساء الكوارع، لكنه يتطلب
مجهودًا، لذلك تفضل زوجتي إعداد حساء الطرخون
دائمًا. حساء الطرخون لذيذ، لكنه لا يفيد الركبة فيما يبدو!
عدتُ إلى المنزل. نظرتُ جيدًا إلى ممسحة الباب
للتأكد من أن كلب السيدة "شيرازة" لم يقض حاجته

عليها... حتى مجرد نظافة الممسحة تُريح النفس،
وتجعلني أنسى آلام ركبتي. أدخلت المفتاح في الباب،
ولم أسمع صوت زوجتي. نظرت من باب المطبخ،
فوجدتها تغسل الفناجين.

- بالصحة والعافية! هل شربتم القهوة؟

- هل سمعت؟ إنهم يخلطون قشور البندق المطحونة

مع القهوة!

- من أخبرك؟

- الجيران... جاءوا لشرب القهوة وأخبروني.

- ها! وعندما قلت لك إنهم يضيفون صبغة إلى

معجون الطماطم، لم تصدقي!

- بائع المخلات لا يبيع القهوة!

لم أعلق، تركتها تغسل الفناجين وتمسح الطاولة...
جلست على المقعد بجانبها، وقبل أن أتحدث عن حساء
الكوارع، نظرتُ إليَّ وسألت:

- هل سبق لك أن أكلت لحم الخنزير؟

شعرت بصدمة، ونسيتُ آلام ركبتي:

- ماذا تقولين يا امرأة؟ هل جنت؟

- ألم تأكل كفتة في الخارج؟

- وإن أكلت؟

- إنهم يخلطون لحم الخنزير مع الكفتة...

أدركتُ أنها قد تُعدد المزيد من الفضائح، فتداركتُ

الموقف:

- أنتِ محقة يا عزيزتي.

فهدأت، لكنني شعرت بألم ركبتي مجددًا.

أيها الأصدقاء المتقاعدون، انتبهوا للأطعمة
المغشوشة، وضعوا نظاراتكم، واحتفظوا بعود ثقاب في
جيبيكم! دمتم بخير!

مع كل خطوة أخطوها، يصدر صوت "طق" من ركبتي،
وأشعر بألم. نصحني أحد الأصدقاء بحساء الكوارع. أنا
وزوجتي نحب حساء الكوارع، لكنه يتطلب مجهودًا،
لذلك تفضل زوجتي إعداد حساء الطرخون دائمًا. حساء
الطرخون لذيذ، لكنه لا يفيد الركبة فيما يبدو!